جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الأنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الأجتماعية

مذكرة ماستر

العلوم الاجتماعية
فلسفة
فلسفة عامة

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
كمال خرفي

يوم: 10/10/2020

الإصلاح الديني في أوروبا وعلاقته بالتنوير الفلسفي مارتن لوثر أنموذجا

لجنة المناقشة:

محمد زيان	أ. مح ب	جامعة محمد خيضر- بسكرة	مقرر
عقيبي لزهر	أ. مح ب	جامعة محمد خيضر- بسكرة	رئيس
معاريف أحمد	أ. مح ب	جامعة محمد خيضر- بسكرة	مناقش

السنة الجامعية : 2019 - 2020

إهـــــــــــداء

أهدي هذا العمل إلى من قال الله تعالى فيهما

" **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا** "سورة الإسراء الآية 24.

إلى **الوالدين الكريمين** حفظهما الله وأطال في عمرهما.

إلى رمز الصداقة وحسن العلاقة

"**أعضاء نادي الإبداع الفلسفي**"

إلى من رفعوا رايات العلم والتعليم

أساتذتي الأفاضل.

إلى كل من عرفته من قريب أو من بعيد

إلى كل من سقط سهوا من قلمي ولم يسقط من قلبي.

شكر وتقدير

بعد أن من الله علينا بانجاز هذا العمل، فإننا نتوجه إلى الله سبحانه وتعالى أولا وأخرا بجميع ألوان الحمد والشكر على فضله وكرمه الذي غمرنا به فوفقنا إلى ما نحن فيه راجين منه دوام نعمه وكرمه، وانطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم :"من لا يشكر الناس لا يشكر الله "، فإنني أتقدم بالشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذ المشرف " **زيان محمد**" على إشرافه على هذه المذكرة وعلى الجهد الكبير الذي بذله معي، وعلى نصائحه القيمة التي مهدت لي الطريق لإتمام هذه الدراسة، فله مني فائق التقدير والاحترام، كما أتوجه في هذا المقام بالشكر الخاص لأساتذتنا الذين رافقوني طيلة المشوار الدراسي ولم يبخلوا في تقديم يد العون لي.

وفي الختام أشكر كل من ساعدني وساهم في هذا العمل سواء من قريب أو بعيد حتى ولو بكلمة طيبة أو ابتسامة عطرة.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
صفحة الواجهة	
الأهداء	
شكر و تقدير	
مقدمة	أ،ب،ج، د،ه
الفصل الأول: سيطرت الفكر السكولائي على أوروبا في العصور السطى	31-8
تمهيد	
المبحث الأول: الصراع بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية	14-8
المطلب الأول: صراع الباباوات ضد الأباطرة	11-8
المطلب الثاني: سيطرة البابوية على مقاليد الحكم	14-11
المبحث الثاني: التوفيق بين الفلسفة اليونانية والدين المسيحي	21-15
المطلب الأول: أوروبا بين الطابع الأفلاطوني والأرسطوطاليسي	18-15
المطلب الثاني: موقف الأكليروس من سلطة العقل في القرون الوسطى	21-18
المبحث الثالث: الاضطهاد الكنسي للفكر المخالف للكتاب المقدس	31-21
المطلب الأول: اضطهاد رجال الإصلاح الديني	27-22
المطلب الثاني: تعذيب وقتل العلماء	31-27
الفصل الثاني: الإصلاح الديني اللوثري ضد الكنيسة الكاثوليكية الأصولية	50-33
تمهيد	
المبحث الاول: مارتن لوثر وحركة الإصلاح البروتستانتي	42-34
المطلب الأول: الإصلاح الديني أسبابه وتجلياته في فكر لوثر	39-34
المطلب الثاني: الحركات المتطرفة التي صاحبت الإصلاح اللوثري	42-39
المبحث الثاني: إجراءات الكنيسة الكاثوليكية ضد الإصلاح البروتستانتي	46-43

المطلب الأول: سياسة الاحتواء	45-43
المطلب الثاني: محاكم التفتيش	46-45
المبحث الثالث: نتائج الثورة الدينية اللوثرية	50-46
المطلب الأول: على الصعيد الديني	48-47
المطلب الثاني: على الصعيد السياسي	50-48
الفصل الثالث: أزمة الوعي الأوروبي مع الأصولية المسيحية وظهور التنوير	74-53
تمهيد	
المبحث الأول: بوادر التنوير الفلسفي	62-53
المطلب الأول: مفهوم التنوير من المنظور الفلسفي	54-53
المطلب الثاني: الروح العامة لعصر التنوير	57-54
المطلب الثالث: بدايات التنوير الأولى	62-57
المبحث الثاني: التنوير دفاعا عن الحرية الإنسانية	73-62
المطلب الأول: جون لوك حرية الضمير حق طبيعي للإنسان	67-62
المطلب الثاني: فولتير الحرية الدينية كبديل عن التعصب	70-67
المطلب الثالث : كانط الدين باعتباره ممارسة أخلاقية	73-70
خاتمة	79-77
قائمة المصادر والمراجع	89-81
الملخص	

مقدمة

يتفق العديد من مؤرخي الفكر على أن أوروبا الحديثة بكل قيمها ومؤسساتها، وتسامحها الديني وحرياتها الديمقراطية، تعود إلى عصر التنوير، الذي يسميه بعضهم " القرن العظيم" ، ذلك العصر الذي اندلعت فيه المعارك الأساسية، التي أدت إلى حصول القطيعة الكبرى بين أوروبا الحديثة وأوروبا القديمة، بين التجديد والتراث، بين العقل العلمي والعقل اللاهوتي المسيحي،غير أنه من المبالغ حقا أن نقول أن هذا العصر جاء من باب الصدفة أو المعجزة الإلهية، فلقد كان وراءه العديد من المكبوتات –بتعبير سيغموند فرويد(1939/1856م، Sigmund Freud)– فقد عاش المجتمع الأوروبي طيلة العصور الوسطى ركودا في جميع المجالات ربما لم يشهده له مثيل في تاريخ البشرية، بل صارت حياة الإنسان في ذلك العصر لا تعني بالنسبة له إلا وهما لابد من الصبر عليه حتى يعيش حقيقته في الحياة الأخرى – الآخرة–، خاصة أن هذا الاعتقاد قد اكتسبه الإنسان من الدين المسيحي الذي كان ينشر على أفواه رجال الدين، واستمرت هذه الرؤية سائدة، وراح العقل الأوروبي يسرح في أحلامه وأوهامه التي امتدت إلى قرون طويلة، غير أن اليقظة كانت نتيجة حتمية لما آلت إليه الأوضاع من قهر وظلم واستبداد، وبما أن تلك الأوهام قد تغلغلت في عقل الإنسان الأوروبي وصارت تمثل جزءا من كيانه ووجوده، كان من الصعب أن يتغير ذلك الحال بين ليلة وضحاها، هذا من جهة، ومن جهة ثانية حقيقة الملوك ورجال الدين الذين عاثوا فسادا في الأرض، وأصبحت السلطة بالنسبة لهم حقا مشروعا لا يمكن لأحد أن يشكك فيه، وعليه كانت بدايات التخلص من هذه الأوهام والوصاية التي فرضت على العقل الأوروبي، والخروج به إلى عالم النور صعبة جدا، وقد لعبت حركات الإصلاح الديني دورا بارزا في التخلص من تلك الوصاية.

بدأت حركة الإصلاح الديني بشكل فاعل ومؤثر منذ مطلع القرن السادس عشر، في العديد من البلدان الأوربية خاصة ألمانيا وفرنسا، وتطور الأمر من اختلافات عقائدية حول الطقوس والمراسيم الدينية إلى البحث عن مسألة حدود السلطة الروحية، وحدود السلطة البابوية، ومستوى طاعة الكنيسة، وكان يمكن الاتفاق على الحقيقة الدينية مع اختلاف وجهات النظر، لو أمكن إزالة ما عليه الطقوس من جهل وتظليل، واستغلال لبساطة

الآخرين، خاصة أن الجميع كان ينهل من نفس المبادئ والعقائد المسيحية، ولكن التعصب الأعمى الذي كان عليه عدد من رجال الدين من الجانبين، والذي غذته المصالح الشخصية للملوك والأمراء والنبلاء ، الذين وجدوا في حركة الإصلاح الديني، الفرصة المناسبة للتوسع وحيازة الأراضي والأملاك على حساب الكنيسة، زاد من تعقيد الخلاف وحوله بالتدريج إلى اختلافات، ثم إلى نزاعات شغلت المجتمع الأوربي لأكثر من قرنين ، وأدت في الأخير إلى ظهور حروب طاحنة راح ضحيتها الكثير من الناس، وانتهى الأمر في الأخير إلى ظهور عصر الأنوار، ذلك العصر الذي انبثقت منه فكرة فصل الدين عن الدولة، وحرية الضمير والمعتقد، ومن ثم ترك المجال لقوانين الوضعية لحكم البلدان وتراجعت سلط الكنيسة لتلوذ بدور العبادة وتكتفي بالقداس.

و من هنا تمحورت الإشكالية العامة للموضوع في: البحث عن علاقة الإصلاح الديني بالتنوير الفلسفي، وقد انبثقت عن هذه الإشكالية الكبرى تساؤلات عديدة من أهمها

1/ دور حركة الإصلاح الديني في ظهور التنوير الفلسفي.

2/ كيف ساهم الإصلاح الديني في التخلص من الوصايا التي فرضت على العقل الأوروبي طيلة العصور الوسطى؟

3/ نظرة فلاسفة عصر الأنوار إلى الدين بصفة عامة والدين المسيحي بصفة خاصة.

وتجدر الإشارة إلى أن أهمية الموضوع تكمن في معرفة أثر الإصلاح الديني–خاصة– الألماني بزعامة مارتن لوثر ومساهمته في بلورة الوعي داخل المجتمع الأوروبي، بالإضافة إلى معرفة الخلافات الطائفية، والعوامل الداخلية والخارجية المؤثرة على هذه الحركة الإصلاحية، هذا من جهة، ودورها في ظهور عصر التنوير، الذي أعاد للإنسان كرامته من جهة ثانية، وأما عن أسباب اختيار الموضوع، فانقسمت إلى قسمين

أولا: أسباب ذاتية

- الرغبة في معرفة الطريقة الإصلاحية الدينية، التي انتهجتها أوروبا للتخلص من سيطرة الكنيسة، وكيفية انتقالها إلى عصر الأنوار.
- المشاكل التي تمر بها المجتمعات العربية المنبثقة من الخلافات العقائدية الدينية، على الرغم من اعتناقها نفس الدين.

- ظاهرة التكفير والخروج عن الدين، التي أصبحت تطلق على كل من يدعوا إلى تجديد الخطاب الديني الإسلامي، أو محاولة قراءته قراءة تساير العصر مما أدى إلى خلافات عديدة.
- الضعف والانحطاط التي آلت إليه المجتمعات الإسلامية بصفة عامة، والعربية بصفة خاصة، نتيجة الجهل وعدم أخذ العبرة من تجارب الآخرين، استدعت مني البحث في هذا المجال لكي لا نقع في ما وقع فيه الآخرون منذ مئات السنين، ونبقى ندور في دوامة من الصراعات الطائفية التي لا طائل منها سوى تدمير البلدان وتشويه صورة الدين الحقيقي.

ثانيا: أسباب موضوعية

- إبراز العلاقة التاريخية التي تربط بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية.
- إبراز دور الإصلاح الديني في بلورة الوعي داخل المجتمع الأوروبي.
- إبراز دور الدين ومدى تأثيره على الحياة الاجتماعية والسياسية.

ومن أجل الوصول إلى الأهداف المنشودة قمت بتقسيم هذا الموضوع إلى ثلاثة فصول، الفصل الأول المعنون ب " **سيطرت الفكر السكولائي في العصور الوسطى الأوروبية:** اندرج تحته ثلاث مباحث، المبحث الأول المعنون ب: **الصراع بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية،** وقد تناولت فيه كيفية وصول رجال الدين إلى السلطة والتحكم في الحياة الاجتماعية والسياسية و المبحث الثاني المعنون ب: **التوفيق بين الفلسفة اليونانية والدين المسيحي،** فتطرقت إلى إبراز دور الفلاسفة في توطيد العلاقة بين الدين المسيحي والفلسفة اليونانية، أما في المبحث الثالث المعنون ب: **الاضطهاد الكنسي للفكر المخالف للكتاب المقدس،** فتناولت فيه جرائم الكنيسة في حق العلماء والفلاسفة ورجال الإصلاح الديني، أما في الفصل الثاني المعنون ب " **الإصلاح الديني اللوثري ضد الكنيسة الكاثوليكية الأصولية** الذي قسم أيضا إلى ثلاث مباحث تطرقت في المبحث الأول المعنون ب: **مارتن لوثر وحركة الإصلاح البروتستانتي،** تناولت فيه ظهور حركة الإصلاح الديني اللوثري وكيف ساهمت في توعيت المجمع الأوروبي بحقيقة الدين والكنيسة الكاثوليكية، أما المبحث الثاني المعنون ب:

إجراءات الكنيسة ضد الإصلاح (الإصلاح المضاد) فتطرقت إلى سياسة وردود أفعال الكنيسة الكاثوليكية على إصلاحات مارتن لوثر وكيف واجهتها، وفي المبحث الثالث المعنون ب : **نتائج الثورة الدينية اللوثرية** فتطرقت إلى النتائج العامة التي خلفتها حركة الإصلاح الديني خاصة في المجال الديني والسياسي، وأما فيما يتعلق بالفصل الثالث والأخير المعنون ب" **أزمة الوعي الأوروبي مع الأصولية المسيحية وظهور التنوير** " والذي قمت بتقسيمه إلى مبحثين فتناولت في المبحث الأول **بوادر التنوير الفلسفي،** فتناولت في المبحث الأول: التعريف بالتنوير و بوادر ظهوره، وأما المبحث الثاني المعنون ب: **التنوير دفاعا عن الحرية الإنسانية،** فقد تناولت فيه مجموعة من فلاسفة عصر الأنوار (جون لوك، فولتير، و كانط) ورؤيتهم لحقيقة الدين خاصة المسيحي ، أما فيما يتعلق بالمنهج المتبع فقد تعددت المناهج المستخدمة لكن غلب المنهج **التاريخي، والتحليلي،**على البحث، فالأول الذي هوا عبارة عن دراسة تاريخية، يهدف إلى تتبع مسار الحركة الإصلاحية الدينية منذ بدايتها الأولى، والثاني أي **التحليلي،** فكان لتحليل وعرض الأفكار التي تطرقت لها من خلال الشخصيات المتعددة التي رافقت البحث من بدايته.

وفيما يخص الدراسات السابقة، فقد صادفتني إحدى الدراسات التي لاحظت أنها تتقاطع مع موضوع بحثي هذا في نقطة مهمة، وهي علاقة الإصلاح الديني بالسياسة، وهي دراسة تكميلية لنيل شهادة الماستر، من إعداد الطالبة : كويحل زينب، تحت إشراف الأستاذ: رياض طاهير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر،2016/2015، حيث تناولت إشكالية العلاقة بين الإصلاح الديني والسياسة بصفة عامة، وعلى الرغم من شمولية الإشكالية المطروحة إلا أنها لم تبرز مساهمة الإصلاح الديني ورجال الدين في التخلص من الوصاية التي فرضت على العقل الأوروبي طيلة العصور الوسطى، والتي كانت سببا مباشرا في ركود الفكر السياسي والفلسفي بصفة خاصة.

وكأي بحث لا يخلوا من الصعوبات والعراقيل، واجهتني مجموعة من الصعوبات كان أصعبها بالنسبة لي عدم توفر مصادر لمارتن لوثر، وعدم القدرة على تحميلها من مواقع الإنترنت المتعارف عليها، هذا من ناحية المادة العلمية أما بالنسبة للمضمون فأكثر الصعوبات كانت تتعلق في البداية من تغلب الطابع التاريخي على الطابع الفلسفي ، خاصة في الفصل الأول وهذا ما جعلني أعتمد في هذا الفصل على قلة قليلة من المراجع والكتب

التي كانت تمتاز بصياغتها الفلسفية وذلك لكي أتجنب السرد التاريخي، بالإضافة إلى ارتباط حركة الإصلاح الديني بعصر النهضة مما شكل تداخلا في المفاهيم وتشاركا في الأهداف.

الفصل الأول: سيطرت الفكر السكولائي على أوروبا في العصور الوسطى

تمهيد

لطالما شكلت مسألة السلطة نقطة أساسية في تحول أي منظومة اجتماعية من حالة إلى حالة أخرى، بدليل أن حب الإنسان للسيطرة والتملك ينطوي داخله كأساس فطري أو غريزي، لابد من السعي إلى بلوغه و إشباعه، وقد تختلف الوسيلة أو الطريقة المتعبة للوصول إلى هذا الطموح الإنساني، فمنهم من يلجئ إلى محاولة كسب الرأي العام، وذلك من خلال وضع مجموعة من البرامج والمشاريع، التي تكون بمثابة رؤى مستقبلية، يتمناها ويتطلع إليها الشعب، فتكون هذه المشاريع الإصلاحية بمثابة النقطة الرئيسية والفاصلة، التي تعطي أحقية وصول الشخص إلى الحكم في الأغلب الأحيان، وهو أسلوب تتبعه البلدان الديمقراطية في وقتنا الحالي، وقد تكون الوسيلة عدوانية ديكتاتورية يرضخ فيها القوي للضعيف، وقد تأخذ بعدا دينيا في بدايتها، بحيث تجعل من الدين وسيلة لبسط نفوذها وسيطرتها، وسرعان ما تنقلب إلى اضطهاد وتعسف، وفي هذا الجزء من البحث سأسلط الضوء عن أحد هذه الطرق وما على القارئ إلا أن يتبع الأحداث ليتمكن من التعرف على الطريقة التي سادة في حقبة العصور الوسطى الأوروبية وكيف آلت نتائجها على المجتمع الأوروبي آنذاك.

المبحث الأول: الصراع بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية

المطلب الأول: الصراع بين البابوية ضد الأباطرة

منذ أن اعترف الإمبراطور قسطنطين(337/272م) بالديانة المسيحية عام 312م، ومنح أتباعها حرية العقيدة، ظهرت بوادر الصراع بين السلطة الزمنية المتمثلة في الإمبراطورية الرومانية الشرقية، والسلطة الروحية المتمثلة في الكنيسة الكاثوليكية، وتعد هذه المرحلة من بين أهم مراحل الصراع بين السلطتين، الذي استغرق العصور الوسطى وحقب طويلة من عصر النهضة ، وتأتي أهمية هذه المرحلة التي أسست فيها روما ادعاءاتها بالأحقية في قيادة المجتمع المسيحي[1]، فلقد اتفق كل من قسطنطين وليكينوس على إطلاق حرية العقيدة لجميع الرعايا الخاضعة لسلطانهم، شريطة ألا يعارض ذلك مصالح الإمبراطورية الرومانية، وهوا الاتفاق الذي عرف باسم مرسوم ميلانو في عام 313م [2]، ولم يكن هذا الاعتراف وليد التأثر بالديانة المسيحية بقدر ما كان خوفا على سياسة روما آنذاك، فقد أدرك الأباطرة الرومان أنه كلما زاد الضغط على أتباع الديانة المسيحية عزز من شأنها وازداد تماسكها، وقد أصبحت في نهاية القرن الثالث ميلادي تتمتع بنفوذ كبير، ويمكن القول أنها أصبحت دولة داخل الدولة الرومانية، مما اضطر الدولة إلى إتباع سياسية جديدة قائمة على الاعتراف بالديانة المسيحية ومنح إتباعها حرية العقيدة ومن بين ما جاء فيها:

السماح للمسحيين بإعلان آرائهم الخاصة في حرية تامة، وعقد اجتماعاتهم السرية دون خوف، وعد هذا الأمر لبسط الرأفة والرحمة من قبل الإمبراطورية على أفرادها.

على المسيحيين إظهار الاحترام للقوانين والحكومة القائمة، وان عملية التسامح يجب أن تكون دافعا إلى الصلاة والتضرع إلى ربهم الذي يعبدونه، من أجل سلامة ورخاء الإمبراطورية الرومانية[3].

---

[1] يونس عباس نعيمة: **الجذور التأريخية للصراع بين الدولة والكنيسة الغربية في أوروبا (312، 560م)**، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة بابل، مركز بابل للدراسات، ص151.

[2] حفيظ اسليماني: **الدين السياسي في علاقة الإمبراطور قسطنطين بالديانة المسيحية**، مؤمنون بلا حدود،ص5

[3]. يونس عباس نعيمة: **المرجع السابق** ، ص ،151

بعد أن أصبحت المسيحية الديانة الرسمية الإمبراطورية الرومانية، جاءت الكنيسة بنظام جديد، ركز على الطبيعة المزدوجة للإنسان وأن هناك عالم الروح وعالم الوجود الدنيوي اللذان يعدان جوهر المسيحية، الأمر الذي جعل العلاقة بين المؤسسات السياسية والدينية تواجه إشكاليات مهمة، ذلك أن المعتقد الديني للفرد المسيحي يمكن أن يجعل منه خائنا لواجباته السياسية، من وجهة نظر السلطة الإمبراطورية، وفي المقابل فإن الخلق السياسي التي تربى عليها في ظل الإمبراطورية تجعل منه –من وجهة نظر المسحيين الصرفة– وثنيا، وهذا من شأنه أن يعلن مبدأ مرحلة النزاع والتنافس على السلطة، وهذا يعني أن التنافس بين السلطة الروحية والزمنية، سجلت بدايتها من هذا الوقت، وان الزمن وحده سيحدد أي السلطتين أعلى من الأخرى، وأيهما أكثر كفاءة وقدرة على إدارة الدولة[1]، ومع مرور الزمن بدأت تظهر على رأس الكنيسة خمس مراكز كنسية في كل من: (روما،بيت المقدس، والإسكندرية، وأنطاكية، والقسطنطينية) ، حيث أصبحت كل مدينة تكسب أهميتها الخاصة بها، وكان لابد من وجود نظام إداري كنسي ينظم أمورها، مما أدى إلى ظهور النظام الكنسي المتفرغ والمتخصص في سبيل تحقيق أهداف الكنيسة الدعوية، وقد تمثل النظام الكنسي في ما يعرف بالدرجات الكهنوتية، (الأسقفية، الدعاية، القسيسية، الشفاعة، والشماسية، خدمية) وقد ظهر هذا النظام الكنسي المتدرج مقتبسا من ترتيب النظام الإداري السائد في الإمبراطورية الرومانية، وقد أطلقت عليه الكنيسة نظام (الأكليروس)[2]، وبعد أن أصبحت الإمبراطورية عاجزة على فرض سيطرتها على الدولة والكنيسة معا، بالإضافة إلى تمكن الكنيسة الغربية من التفرد بالسلطة بعد أن جمعت لنفسها ثورة طائلة، وأسست لها نظام ثابت يسمح لرأس الكنيسة في روما أن يطلق على نفسه لقب (البابا) كامتياز له، أصبح البابا هوا رأس الكنيسة في روما، في الوقت نفسه هوا الأسقف وبطريك روما[3]، وقد استمد البابا سلطته ومكانته من أهمية روما كعاصمة للعالم الروماني، ذات الماضي العريق، إذ تعتبر العاصمة القديمة للإمبراطورية الرومانية، كما ساعدها أيضا موقعها الجغرافي، فلقد كانت بعيدة عن النزاع الذي بين البطريركيات الشرقية، بالإضافة إلى بعدها عن سيطرة

[1] المرجع السابق، ص ،152

[2] أحمد تركي شريدة: **نشأة البابوية وتطورها**، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 45،العدد 4، ملحق 1، 2018 ،ص 2.

[3] أحمد تركي شريدة: نفس المرجع، ص،3.

الإمبراطور بالقسطنطينية[1]، غير أن الكنيسة قد بلغت مرحلتها الحاسمة في تاريخها، في النصف الثاني من القرن الحادي عشر ميلادي، وهوا العصر الذي يعرف بعصر البابا (جريجوري السابع) أعظم باباوات العصور الوسطى، ذلك لأنه وقف من الإمبراطورية موقفا عنيدا لإجبارها على الاعتراف بسمو البابوية، وأنها مصدر جميع السلطات السياسية والدينية، وقد صور نفسه على أنه القناة التي من خلالها تنفد إرادة بطرس، أمير الرسل إلى بني البشر، فالبابا هوا الناطق بلسان القديس بطرس، ومنه يستمد سلطانه الفائق بالربط والحل في السماء وعلى الأرض، وعلى هذه النظرية البطرسية، نسجت البابوية خيوط سموها، وعلو مكانتها، في النواحي الروحية والزمنية على حد السواء، إلا أن العلماء الذين تم تعينهم بواسطة الملوك، خاصة الإمبراطورية التي ظهرت في ألمانيا والتي كانت تمثل الصد المقابل للبابوية في روما فقد نادوا بأن الملك يستمد قوته من الرب، وهوا مسؤول فقط أمامه، وأن اختصاص الكنيسة يجب أن يكون منصبا على الشؤون الدينية لا الدنيوية[2] ، إلى جانب هذا فإن العصور الوسطى العالية اشتهرت بالصراع بين الباباوات والأباطرة، وكان لكل من الملوك والأباطرة جيوشهم ،أما الباباوات فكانت السلطة الدينية والأسلحة الروحية هي أقوى أسلحتهم، والتي تمثلت في قرارات الحرمان والمنع واللعنة، وهذا ما حدث حقا، ففي سنة 1053م، اختار الألمان هنري الرابع ملكا كوريث من الفرع السكسوني، فاعتلى العرش، وكملك حاول أن يمنح الإمبراطورية التي ورثها عزما جديدا، لو أنه لم ليدخل في صراع مع الباب جريجوري السابع الذي كان على قدر كبير من الذكاء ففي ربيع سنة 1070م ،اصدر جريجوري مرسوما يقتضي بإلغاء التقليد العلماني للنظام السابق الذي كان يقوم فيه الحكام العلمانيون بتعين رجال الدين من كهنة وأساقفة، في وظائفهم الكنسية، وبهذا المرسوم فرض سيطرة البابا، كما أن المرسوم الذي أصدره جريجوري كان بمثابة لطمه قاسية لهنري الرابع، ذلك أن الكنيسة كان في حوزتها أكثر من ثلث ألمانيا، وقام بتهديد هنري بخلعه وإصدار قرار الحرمان ضده إذ لم يذعن فورا لبرنامج الإصلاح البابوي، ورد عليه هنري بعقد مجتمع ديني يضم أساقفة ألمانيا والذي قرر بإجماع الأصوات عزل جريجوري من منصبه الديني وأرسل

[1] محمود سعيد عمران: **حضارة أوروبا في العصور الوسطى**،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص 97، 98.

[2] إمام الشافعي محمد حمودي: **دور المندوب البابوي أدهيمار دي مونتيل في الحملة الصليبية الأولى**، المجلة العلمية، العدد32، الجزء 2013، ص ص5، 6.

هنري القرار إلى البابا في رسالة جاء فيها " الآن، وبعد أن تمت إزالتك وإنزال اللعنة عليك بالقرار الصادر عن جميع أساقفتنا ومنا، ما عليك إلا أن تتنحى عن الكرسي ألرسولي الذي اغتصبته، اترك هذا المكان لشخص آخر يستحق مقعد القديس بطرس [....] نقول لك تنح تنح وعليك اللعنة الأبدية.."[1] ، إلا أن هذه الطريقة كانت بمثابة الخطأ الكبير الذي ارتكبه هنري، ظنا منه أن الأساقفة الألمان سيقفون إلى جانبه، وفي الحال أصدر جريجوري قرار الحرمان ضده، وأعلن قطعه من الكنيسة،[2] ، وبهذا فإن سيطرة البابوية والكنيسة على السلطة الروحية والزمنية كان حكما مطلقا واستطاعت في الأخير أن تبسط نفوذها على الأباطرة.

المطلب الثاني: سيطرة البابوية على مقاليد الحكم

بعد أن أرضخت الكنيسة الكاثوليكية ورجال الدين الأباطرة تحت أمرها، تهيأت السلطة تدريجياً إليها، فأصبح البابا هوا الناهي والآمر لكل الأمور الدينية والدنيوية، إلا أن هذا النفوذ وهذه القوة لم تأتي هكذا، بل كانت وليدة لعدة مظاهر، فمنذ أن تولى جريجوري السابع مقاليد الحكم ، حتى ناد بعلو شأن البابا واعتبره سيدا على الأباطرة، ويتضح ذلك من خلال تلك القوانين الصارمة التي سنها والتي تعرف ب " الإرادة البابوية، أو الأوامر البابوية ومن أهم ما ورد فيها كالتالي:

- البابا وحده الذي يتمتع بسلطة عالمية
- البابا وحده يمتلك سلطة تعيين الأساقفة أو عزلهم
- للبابا الحق في عزل الأباطرة.
- لا يسأل البابا عما يفعل ولا يحاكم على تصرفاته[3].

وقد مارست الكنيسة بسط سلطانها ونفوذها في القرنين الثاني والثالث عشر، على جميع أنحاء أوروبا ، وقد بلغ نفوذ البابوية الديني والفكري والدنيوي بوجه عام ذروته في القرن الثالث عشر عندما أصبح البابا في أوروبا الغربية بمثابة ملك يتمتع بسلطان زمني فوق سلطانه الروحي، فإذا أراد البابا أمرا على الملوك السمع والطاعة، وإلا تعرضوا لعقوبة الحرمان والطرد، وقد وجدت الكنيسة الغربية في جمع شملها و سلطانها ونفوذها وسيطرتها

---

[1] موريس بيشوب: **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**،ت، علي السيد علي، ط1، 2005، المجلس الأعلى للثقافة للنشر والتوزيع، الجلابية بالأوبيرة، الجزيرة،القاهرة ص53، 55.

[2] موريس بيشوب: **المرجع نفسه**، ص55.

[3] أحمد علي عجيبة: **البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي** ، مكتبة المهتدين ، طنطا ط1991،1،ص30،31.

وتركيز إدارتها، تحت زعامة البابوية خير وسيلة لتحقيق غاياتها، وقد أصبح البابا_في نظر الأوروبيين_ رأس الكنيسة الكاثوليكية ومصدر ولايتها، ومعلم أتباعها المعصوم من الخطأ، هذا فضلا عن كونه نائب المسيح –في اعتقادهم –لأنه يستمد سلطته من تعين المسيح له مباشرة [1]، ولم يقتصر هذا النفوذ على البابا وحده، بل وصل الأمر برجال الدين الأكليروس في الكنيسة الغربية، إلى تزوير الوثائق والمستندات التي تؤكد على سلطة البابوية الدينية والسياسية على رجال الدين من جهة، وعلى الملوك والأباطرة من جهة أخرى، ، فلجأ رجال الكنيسة إلى التزييف والتزوير لاختلاق دعائم تستند إليها في تحقيق أهدافها، ولذلك زورت الوثائق التي تتضمن مراسيم إمبراطورية أو بابوية، لتضفي صفة الشرعية على سيطرة البابوية على رجال الدين والملوك، وهناك وثيقتان اشتهرتا بين المؤرخين تم تزييفهما على أيدي رجال الكنيسة، الأولى التي سميت ب" هبة قسطنطين" والغرض منها إثبات سلطة البابوية الزمنية وسيادته على الغرب الأوروبي، وهي عبارة عن مرسوم ادعى رجال الكنيسة انه صادر عن الإمبراطور قسطنطين وقد جاء فيها أن البابا سيلفستر الأول (314، 335م) شفى قسطنطين من مرض الجذام، واعترافا منه بجميل البابا كافأه بان تخلى له عن حكم ايطاليا والغرب ومنحه التاج الإمبراطوري ، وادعى رجال الكنيسة الغربية أن هذه الوثيقة تثبت حق البابا في تتويج الأباطرة والملوك ،أما الوثيقة الثانية فسميت ب" بالأحكام البابوية المزورة" واشتهرت باسم(إيزيدوس ميركاتور) وهي مجموعة الأحكام التي قوت فيما بعد سلطان البابوية، ولا يعرف أحدا متى صدرت وأين صدرت هذه الأحكام ولكن أغلب الظن أنها جمعت في مدينة منز عام 842 م وكان واضعها قس فرنسي تسمى باسم (إيزيدوس ميركاتور) على حد تعبير ول ديورانت ، وتعتبر هذه الوثيقة بمثابة الركيزة التي استطاعت من خلالها الكنيسة والبابا أن يفرض سلطته ، وعلى الرغم من الغموض الذي يشوبها، إلا أن أحدا لم يحاول آن ينفيها أو أن يتأكد من صحتها، وأصبحت بمثابة الكتاب المقدس[2]، ولم يعد أحد قادر على التشكيك فيها من عامة الناس ، وأصبحت الطاعة للبابا لابد منها، بل أن الطاعة له كانت طوعا أو كراهية فمن هذا الذي يجرئ على مخالفة خليفة المسيح في الأرض.

[1] أحمد علي عجيبة: **البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي، المرجع السابق**، ص 33.
[2] أحمد علي عجيبة: **المرجع نفسه**، ص22، 29.

إن هذه السلطة الرهيبة لم تجعل الكنيسة قوية فحسب، بل روجت إلى فكرة مفادها أن الخلاص هو الهدف والنهاية المرجوة من الحياة المسيحية[1]، بل و صار الناس يتنافسون للحصول على الوظائف الكهنوتية بمختلف درجاتها، ويشترونها بالمال والرشوة، وهذا ما عرف ب(السيمونية) وهي شراء المناصب والوظائف الدينية بالمال، وهوا داء تفشى فشوا خطيرا بين رجال الدين دون أن تكون لهم أية رسالة روحية أو ميول دينية، فعاش رجال الدين حياة الرفاهية والبذخ وكان اهتمامهم محصورا على المحافظة على سلطتهم وحقوقهم، والامتيازات التي تقدم لهم، بل وكان أكثرهم يسعى ليحتل وظيفة أعلى لينال بها مكانة مرموقة ويتلقى بذلك ثروة أكبر ويعين أناسا أكثر شرا ليقوموا بأعماله[2]، وهكذا فسدت الأخلاق وعمت الرذيلة ، وعلى الرغم من احتقار الناس للكهنة وازدرائهم لهم، إلا أن الخوف كان مسيطرا عنهم من كل الجهات فخوفهم من عقوبة القتل والاضطهاد من جهة، وخوفهم من الحرمان الكنسي وما يترتب عنه من غضب الرب بتعبير رجال الدين من جهة أخرى ، فانحصرت بذلك الديانة المسيحية في الطقوس التي كان يعزى إليها الخلاص بكيفية أشبه بالسحر، وفي الصلوات إلى أرواح القديسين والعذراء بغية نيل بركاتهم، والخوف من لعنة الكهنة، واكتفى الكهنة بقراءة الطقوس والصلوات باللغة اللاتينية التي لم يكن الشعب وحتى بعض الكهنة يفهمونها [3]، من هنا راحت الكنيسة الكاثوليكية تفرض نفسها في وضوح ويزداد يوما بعد يوم ، وذهبت في تدعيم قوتها بالقول بأنه لا يوجد هنالك سوى إيمان واحد، كما لا توجد سوى كنيسة واحدة، وأخذت تتأكد أكثر فأكثر الفكرة القائلة بأنه لا نجاة خارج الكنيسة، وأنه على الإنسان أن يأتيها خاضعا مستسلما، بل وحتى مقتنعا بعقيدتها اقتناعا داخليا كاملا، غير أن امتثال المؤمنين البسطاء من عامة الناس وخضوعهم لرجال الأكليروس، واستعدادهم لتلقي قواعد الإيمان منهم، لم يكن وليد القناعة التامة بها، بل لأن هؤلاء المؤمنين البسطاء، لم يكن لهم أي دراية في أعمال الفكر والمنطق، ولا يبالون بألوان التعارض بل وحتى الخرافات التي تقابلهم، فلم يكونوا قادرين على الخلاص من الوسط الذين يعيشون فيه ، ولا على التخلي عن حياتهم وتراثهم العتيق [4]، وعلى أية حال فإن إيمان

---

[1] Peter Marshall : **Martin Luther and Invention of the Reformation**, Oxford University, first Edition published in 2017, p22.

[2] القس فايز فارس: **أضواء على الإصلاح الإنجيلي**، دار الثقافة المسيحية، ط1، 2000، القاهرة، ص 11.

[3] القس فايز فارس: **مرجع سابق**، ص 11،12.

[4] شارل جنيفر: **المسيحية نشأتها وتطورها**، تر، عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية،صيدا،بيروت، ص186، 188.

العامة بما تمليه الكنيسة قد وجد منذ القرن الخامس ووسائل التعبير عنه، ذلك أن الرهبان تكاثروا في هذا القرن وانتشروا في كل البلاد، ولم يكونوا جميعا من أبناء الشعب على كل حال، بل كانت الأديرة تجذب إليها عددا كبيرا من أصحاب النفوس الرقيقة التي راعتها الحياة الدنيا، وأصبحت دار الخلاص همها الوحيد، وهكذا وبفضل التعاون اللاشعوري – الامتزاجات بين الفلسفة اليونانية والدين المسيحي والقوالب التي أورثها الفلاسفة المسيحيون للدين لتطابق صحته– بين تأثيرات تختلف في أصلها ولكنها تصب في بؤرة واحدة نشأة المسيحية كقوة ضاربة في كل الميادين [1]. وهكذا استطاعت الكنيسة أن تحافظ على قداستها التي وعلى الرغم من كل ما فيها من زيف لا يقبل أي عاقل أن يتقبلها ألا أن سيطرتها على النفوس مكنتها من الحفاظ على سلطتها التي وصلت في الأخير إلى تحديد حياة الإنسان ومصيره.

[1] شارل جنيفر: **المرجع السابق**، ص 189.

المبحث الثاني: التوفيق بين الفلسفة اليونانية والدين المسيحي

المطلب الأول: أوروبا بين الطابع الأفلاطوني والأرسطوطاليسي

منذ العصور المسيحية الأولى والفلسفة موضع نفور عند الكثير من المسيحيين، فقد تولوا منذ القرن الثاني مناهضة الاشتغال بها إلا أن المنهجية المدرسانية(السكولائية)، قد أدخلت بذرة العقل إلى رحم العقيدة الدينية، وحاولت أن تقيم توازنا بين هاتين القوتين الكبيرتين اللتين كانتا تسيطران على إنسان القرون الوسطى، فقد عمل أباء الكنيسة على استغلال أساليب ومذاهب الفلسفة في تأييد العقيدة الدينية والتمكين لتعاليمها، ولقد كانت الأفلاطونية (القديمة،والمحدثة) اكبر عون لهم في هذا الجهاد الديني ، وقد انتصر هذا الاتجاه في العالم الأوروبي في العصور المسيحية الأولى، وكان مرد هذا الانتصار إلى انطواء الأفلاطونية على نزعات روحية لا تبدوا في غيرها من المذاهب على هذا النحو من الوضوح، وهي نزعات تيسر قبول المسيحية وتمهد للتوفيق بين الفلسفة اليونانية والدين المسيحي[1]، وقد كان الفضل يعود في هذا إلى القديس أوغسطين("430،354م) الذي أعطى للديانة المسيحية مسحة أفلاطونية، وطبع التفكير الأوروبي بطابع أفلاطوني حتى القرن الثاني عشر، فقد صور القديس أوغسطين منهجا فلسفيا انتقائيا مكنه من فهم الفلسفة، فعلم من قراءة (هورطانسيوس) أن الفلسفة وسيلة للسعادة التي هي مطلب كل إنسان ، ففكر في السعادة فوجد أن الموضوع الذي يحققها يجب أن يتوفر فيه شرطان ،أحدهما ثابت مستقلا عن المصادفة والحظ، والشرط الآخر، أن يكون الموضوع كاملا لا مزيد عليه، إذ إننا لا نرضى تمام الرضا إلا بالخير بالأعظم، وليس يتوفر هذان الشرطان في غير الله، لأنه وحده ثابت كامل ، ولو دققنا مع هذا الطرح الأوغسطيني عن السعادة والخير الأعظم لوجدناه وثيق الصلة بالطرح الأفلاطوني، الذي يصور الخير الأسمى والسعادة القصوى في ذلك العالم المثالي، الذي كانت تعيش فيه النفس قبل حلولها في الجسد، فلقد كان أوغسطين إذن شديد الإعجاب بأفكار الأفلوطينية المحدثة وخاصة أفلوطين، لأنه كان يعتقد أن الأفلاطونية و الأفلوطينية الجديدة مذهب واحد، فقال في كتابه "الرد على الأكاديميين"، إن أفلوطين شديد الشبه بأفلاطون حتى ليمكن الاعتقاد بأن أفلاطون بعث في أفلوطين، ، ولذلك نراه في "مدينة الله " يقول عنه أنه يعلم أن الله خالق، وأنه يجب تفضيل مذهب الأفلاطونيين

[1] توفيق الطويل: **قصة النزاع بين الفلسفة والدين**، مكتبة الآداب بالجامين، مصر، ص89،90.

على سائر المذاهب [1]، إلا أن هذا التفضيل كان لحاجة في نفس الراهب المسيحي، فلقد أراد أن يعزز المسيحية كدين عظيم لا يدخل الباطل إليه من أي صوب، وعلى الرغم من هذا التفضيل فإن القديس أوغسطين يثبت رفعت المسيحية عن الفلسفة والعقل بتقديسه للإيمان عن الفلسفة، وعلو درجة الوحي عن العقل، وأن هذا الأخير قاصر على إدراك الحقائق المطلقة، لذا من واجب كل البشر أن تؤمن دون الخوض في أي جدال قد يؤدي بالإنسان إلى الكفر، واستمر هذا الطرح الأوغسطيني سائدا حتى القرن الثاني عشر، الذي أعلن فيه أرسطو هجومه على كل ما هوا سائد آنذاك ، ففي الحقيقة لم تكن فلسفة أرسطو مرحبا بها في أوساط المسيحيين في القرون الوسطى الأولى، خاصة وأن الطابع الأفلاطوني الذي هيئه أوغسطين ليطابق المسيحية كان بمثابة الفكر المقدس الذي لا يجب الخروج عنه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، نظرة المسحيين لأرسطو على أنه وثني ملحد وأفكاره خارجة عن المألوف، إلا أن هذه الصورة، قد انهارت بداية مع القرن الثاني عشر، أين تم نقل شروح العلماء العرب الذين ترجموا كتب أرسطو، يقول غوسدوروف بهذا الصدد" إن انبثاق العقلانية في أوروبا أثناء القرون الوسطى المتأخرة يعود كما هوا معلوم إلى دخول الفكر الإغريقي، وقد دخل إلى أوروبا اللاتينية المسيحية بفضل وساطة علماء العرب واليهود الذين ترجموا كتب أرسطو وشرحوها أو علقوا عليها" [2]، فلقد كانت الترجمة تتم من اللغة العربية آنذاك لغة العلم في كل أنحاء أوروبا المسيحية، إلى اللاتينية وكان الأوروبيين مبهورين بالفلاسفة المسلمين خاصة ابن سينا وابن رشد، وكانت كتب أرسطو من بين أهم الكتب التي تطرقوا إليها خاصة ابن رشد الذي حمل اسم الشارح الأكبر لأرسطو، ومع نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر ميلادي، ترجمت كتب أرسطو، المتمثلة في " الفيزيقا والميتافيزيقا"، أو الطبيعة وما بعد الطبيعة، وكانت متبوعة بشروح العرب كابن سبنا وابن رشد ، وقد أعطت هذه الترجمات دفعة جديدة، أنعشت العقل الأوروبي الذي كان نائما، بل ووصل العلم الأرسطوطاليسي، إلى ساحة اللاهوت المسيحي نفسه، وراح رجال الدين المسيحيون يتساءلون عن إمكانية تحويل العقيدة المقدسة إلى علم، وهل يمكن تطبيق المنطق الأرسطوطاليسي عليها دون أن يؤدي إلى تشويهها، وهل هناك طريقة للتوفيق بين العلم

[1] يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط**، إصدارات العوادي، دار الحرية للنشر والتوزيع، ص 35،36.

[2] هاشم صالح: **مدخل إلى التنوير الفلسفي**، ط 1، 2005، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص32، 36.

والدين، والعقل و الإيمان، وانقسم الناس فمنهم من رفض تماما هذا الطرح واعتبره خروجا عن المألوف، وأخر أثاره الفضول والتعطش إلى العلم والمعرفة، وأما القسم الثالث حاول التوفيق بينهما وهوا القسم الأكبر والأهم من الناحية الفكرية، عندئذ راحت تتبلور أول تركيبة عقائدية كبرى في الغرب ساهم في بلورتها القديس توما الإكويني [1]، الذي كان يهدف إلى عقد مصالحة بين العقيدة المسحية من جهة وبين الفلسفة اليونانية و الأرسطوطاليسية من جهة أخرى، ولقد كان المشكلة الكبرى المطروحة آنذاك كالتالي: بعد أن تم الاعتراف بسلطة العقل، فإلى أي مدى تتسع هذه السلطة، أليس لها حدود، وهل يمكن أن نحجمها لكيلا تتجاوز حدودها وتتعدى سلطة الإيمان، التي ينبغي أن تظل لها الأولوية، وفي الواقع إن التوافق الذي أبدعه توما الإكويني لم يكن مضمونا بشكل مسبق، فأرسطو كان يفسر العالم وظواهره بشكل علمي دقيق ويعطي سلطة لا محدودة بالعقل ، وكان يولي استقلالية ذاتية واسعة للمعرفة العقلانية ، ولهذا السبب فإن علمه صدم النفوس المثالية، أي صدم العقلية الإيمانية للمسحيين في القرون الوسطى، خاصة أن المسحية آنذاك كانت تتموضع داخل خط التراث الأفلاطوني ، ولا علاقة لها بأرسطو، أو علميته البحتة [2]، بمعنى أن عقلية الشخص الأوروبي آنذاك كانت خاضعة لتأثير فكر أوغسطين الذي كان نتاج لفكر أفلاطون والذي كان أكثر صلة وتوافقا مع المسيحية التي تدعوا إلى دار الجزاء والزهد على لسان رجال الدين، ولكن القديس توما الإكويني استطاع أن يجد حلا وسطيا يجعل من المستحيل ممكنا حيث " يرى توما الإكويني أن الفلسفة والدين منفصلان، ولكنهما لا يتناقضان، منفصلان لأن مصدراهما مختلفان، الفلسفة مصدرها العقل، والدين مصدره الوحي، والثاني اشرف من الأول[...] ومن هنا كان بين الفلسفة والدين مجال مشترك وهوا اللاهوت الطبيعي، ولا يمكن للفلسفة أن تضاد الدين لأنها تعتمد على مبادئ العقل، التي هي فطرية بديهية، وبالتالي صادقة واللاهوت صادق بحد ذاته لأنه وحي الله الغير مكذوب وإذا وجد بينهما تضاد فما على الإنسان إلا أن يفتش عن الخطأ في الفلسفة [3]" ولقد استطاع توما الإكويني أن يبرر هذا الاختلاف باعتباره ناتج عن طبيعة كل من الفلسفة والدين ، وهذا ما

---

1 هاشم صالح:**مدخل إلى التنوير الفلسفي** المرجع السابق، ص 33 .

2 هاشم صالح: **المرجع نفسه**، ص ص33 ،34 .

3 شفيعة بليلي : **إشكالية التوفيق بين الفلسفة والدين عند توما الإكويني"**، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية بقسم الآداب والفلسفة، العدد18، جوان 2017، ص1.

أكده في كتابه الخلاصة اللاهوتية بقوله "...إذا ليس ينبغي على الإنسان أن يحاول إدراك ما فوق العقل.." [1]، غير أنه يعود مجددا ليؤكد أيضا، انه على الرغم من أن حقيقة الإيمان المسيحي تفوق قدرة العقل، إلا أن الحقيقة التي من الطبيعي أن يعرفها الإنسان لا يمكن أن تتعارض مع حقيقة الإيمان المسيحي[2]، وبهذا التعبير الذي صاغه توما الإكويني أصبح من المستحيل إذا على أي شخص كان أن يحاول التشكيك في صحة العقيدة المسيحية.

المطلب الثاني: موقف الأكليروس من سلطة العقل في القرون الوسطى

منذ أن خرجت السياسة الرومانية عن شريعتها في إطلاق الحرية الدينية لرعاياها، كتب المشتغلون في الفلسفة من آباء الكنيسة في القرن الثاني ميلادي دفاعات ذادوا بها عن دينهم، وردوا فيها على حملات الوثنيين وخصومهم، واستغلوا فيها أساليب الجدل الفلسفي الذي أخذوه عن اليونان، وكان المسيحيون في القرنين الأولين طائفة منبوذة أحاطها مقت المجتمع الروماني، فأعلنوا مبدأ التسامح، وصرحوا بأن المعتقد الديني أمر اختياري لا سبيل لإكراه الناس عليه، فلما تمكن دينهم، واشتد في قلوب الناس، وأيدته الدولة بقوتها تنكروا لمبدأ التسامح، وفرضوا رقابتهم على آراء الناس في الكون وظواهره وأسراره، ثم شرعوا في وضع سياسة محددة لقهر الفكر وكبح العقل، وقد رضخ الجميع لهذه نزعة بما فيهم الحكومات، لأسباب سياسية، وأخذ المسيحيون يبشرون لنظرية مفادها أن الخلاص لا سبيل له إلا عن طريق الكنيسة الكاثوليكية وحدها ، وروجوا للإيمان وأن الذين لا يستسلمون للكنيسة، و يعتقدون بصحة نظرياتهم تحيط بهم اللعنة الأبدية لا محالة[3]، فأضفى هذا الاعتقاد بطبيعة الحال إلى الاضطهاد والتنكيل بكل من خالف أمر الكنيسة، واعتبرت الهرطقة أعظم خطيئة يرتكبها الإنسان في نفسه أمام سلطة الدينية التي تمثلها الكنيسة وأضحى إنقاذ الدنيا من أعداء الله واجبا مقدسا، في نظرهم، فمضت الكنيسة بعد هذا لمحاربة خصومها وقد سلم أوغسطين سابقا بمعاقبة الملحد بالنفي، والجلد، وفرض الغرامات ووضع للكنيسة دستورا تلزمه إزاء كل حركة عقلية، فصرح في كتابه "تعليقات على سفر التكوين بأنه ليس من في

---

[1] توما الإكويني: **الخلاصة اللاهوتية** ،ترجمة الخوري بولس عواد،مجلد الأول،المطبعة الأدبية، بيروت،1887،ص8.

[2] Marek Ellingsen : **Martin Luther s legacy, Reforming Reformation thelogy,** for the 21st Century, library of congoress contril number : 2017937475, springer nature, p35.

[3] توفيق الطويل: **مرجع سابق**، ص ص 77،80 .

الوسع التسليم برأي لا تؤيده الكتب المقدسة[1]، لأن سلطانها أقوى من كل سلطان أمر به العقل البشري، وفي مدينة الله يذهب إلى أكثر من ذلك، فهوا يرى أن القانون العام يجيز أحيانا القتل ففي نظره أن السلطة الإلهية ، وأن الله يأمر أحيانا بالقتل، بواسطة شريعة عامة، أو من خلال وصية خاصة لأن مهمته تأتيه من السلطة، وليس هوا سوى أداة كالسيف الذي به يضرب [2]، ونظرا لأهمية أوغسطين ومكانته لدى المسحيين وقداسة أفكاره وعلوا مكانتها وأثرها ،كانت بمثابة التشريع العام الممهد للسلطة الروحية، أن تتخذ إي إجراء في حق المذنبين و الهراطقة بحد تعبيرها ، أي أصحاب الفكر المخالف وأصحاب النظر العقلي والرؤى الجديدة وكل من تسول له نفسه أن يتجاوز تعاليم الدين والكتاب المقدس والكنيسة الكاثوليكية بصفة عامة، فمضت الكنيسة ورجال الأكليروس بعده تعمل جاهدة لقمع الهرطقة وكان لأوغسطين الأثر البالغ في عرقلة النظر العقلي، ومنذ ذلك الوقت أصبح الكتاب المقدس أساس العلم ومصدره، وكان خطرا على كل شخص تسول له نفسه أن يفكر خارج نطاق الكنيسة وتعاليم الدين المسيحي، وأن يأتي بعلم لا توافق عليه الكنيسة [3]، فقد أتهم "أبيلارد".1079_1142.الذي ناد بتحرير العقل وناقش بعض المسائل اللاهوتية على أساس من منطق العقل، فتصدى له رجال الدين واتهموه بالهرطقة وانعقد لمحاكمته مجمع سواسون عام 1121م وأدان المجمع رأيه، وقرر إحراق كتابه الذي تناول فيه عقيدة التثليث، واستدعى أبيلارد وأكره على إلقائه في النار بيده، ثم سجن في أحد الأديرة في سواسون ولكنه عاد إلى مواصلة بحثه في حدود منهجه العقلي، ولكن الأسقف برنارد نجح في عقد مجلس لمحاكمته سنة 1141م وتم إصدار قرار بإدانته ووافق البابا على حرمه من تعاليمه وإلزامه الصمت بعد ذلك [4]، ولهذا فلقد كان موقف الكنيسة الكاثوليكية إزاء العلم والفلسفة، الاحتقار الصريح والاضطهاد والتعذيب، وما كان على الإنسان إلا أن يصدق مجبرا أو طائعا، لما تمليه عليه الكنيسة ورجال الدين، في تفسيراتهم للكتاب المقدس، خاصة انه كان حكرا على رجال الدين الكهنوتي دون غيرهم من الناس، ولم يكن الجميع على دراية به ، وبعبارة أدق كانت الكنيسة ورجال الأكليروس العقل المفكر الذي يعطي للناس القوالب الفكرية بما يتماشى مع تعاليم

---

[1] توفيق الطويل : **مرجع سابق**، ص81.
[2] القديس أوغسطين: **مدينة الله**، المجلد الأول ، تر، الخور أسقف الحلو، ط2، دار المشرق، بيروت، ص41.
[3] توفيق الطويل: **مرجع السابق**، ص ص 81، 82.
[4] أحمد على عجيبة: **البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي، مرجع سابق**، ص ص 48،44 .

الدين المسيحي، والتي اقتصرت كلها، عن الحياة الآخرة والزهد، وكل ماله علاقة بالحياة الأبدية التي سيعيشها الإنسان بعد موته ومع ظهور فلسفة أرسطو في الساحة، خاصة تعاليم أرسطو في المنطق، فقد ظهرت ترجمات لأحد أجزاء المنطق الأرسطي مباشرة من اليونانية وأجزاء أخرى من العربية، فأصبح هناك فهم تام لفكر أرسطو بعد ترجمة أعمال ابن رشد وخاصة تعليقاته على ميتافيزيقا أرسطو وقد ترجمت هذه الأعمال في القرن الثالث عشر،ولكن وصلت أفكار ابن رشد إلى الفلاسفة اللاتينيين قبل وفاته عام 1198م،واعتنق أتباع الفكر الدومينيكي أفكار أرسطو مثل ألبيرتوس ماغنوس (1206، 1280)، وقد اعتبر سيغر أوف برابانت (1235، 1282)، التابع للرشدية اللاتينية،أن الاستخدام الفلسفي لاستنتاجات العقل،قد يكون معاكسا لحقائق الوحي،ولكن كليهما مقبول، وهذا ما يعرف بالحقيقة المزدوجة، مع أن سيغر لم يستخدم هذا المصطلح، ولقد كان لابن رشد توجه مماثل ولكنه خفف هذه المعارضة، بافتراضه انه يمكن تفسير النصوص القرآنية بشكل يلغي هذا التناقض، نظرا لأن اللغة العربية غنية بالمصطلحات والمفردات، وبإمكانات التغير والشرح على عكس اللاتينية، لهذا شعر معاصروها بأن هذا الوضع سيدمر الدين المسيحي ومعتقدات الكنيسة الكاثوليكية تدريجيا[1]، إذا تم إتباع هذا المسلك، ومن هذا المنطلق قام توما الإكويني بافتراض مجالين مختلفين لكل من الدين والفلسفة، وبرر هذا الاختلاف، أو هذه الحقيقة المزدوجة بتعبير سيغر، لاختلاف مصدر كل منهما [2]، وعلى الرغم من التوفيقية التي اخترعها توما الإكويني، لكي يزيل الشكوك حول مصداقية التعاليم المسيحية، إلا أن فلسفة أرسطو كانت تثير القلق والذعر في رجال الدين الكهنوتي، لذلك حاولوا محاربها بشتى الطرق ، خاصة أفكاره المتعلقة بالكون والطبيعة والعالم، نظرا لما تحمله من اختلاف صريح بينها وبين ما تقوله الكنيسة الكاثوليكية، وعليه فقد وفرت الشروح العربية للفلسفة اليونانية وخاصة فلسفة أرسطو عالم جديد يمكن العقل من التساؤل والبحث عن كل ما هوا مستعص على الفهم الفكر الأوروبي [3]، وهذا إن دل عن شيء، فإنما يدل عن الصلة الوثيقة بين الحضارة الإسلامية والغربية في العصور الوسطى، ومساهمتها في بث الوعي من جديد

---

[1] وليام مونتيري واط: **تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى**، تر، سارة إبراهيم الذيب، جسور للترجمة والنشر، ط1، بيروت، 2016، ص 126 ،128 .

[2] شفيعة بليلي: **مرجع سابق**، ص1.

[3] وليام مونتيري واط: **المرجع السابق**، ص،128.

داخل العالم الغربي الأوروبي، غير أن هذا التغير الطارئ وهذه الروح العلمية الفكرية قد قوبلت بالرفض والتصدي من طرف رجال الدين، فهي في مفهومهم هرطقة وخروج عن ما تبنته الكنيسة من تأسيسها.

المبحث الثالث: الاضطهاد الكنسي للفكر المخالف للكتاب المقدس

المطلب الأول: الفلاسفة ورجال الدين

لم يقتصر الاضطهاد وتعصب الكنيسة على الأمور الدينية فحسب، بل شمل أيضا كل فكر أو علم أو معرفة تعارض ما تقر به الكنيسة، لتشهد بذلك البلاد الأوروبية مزيدا من الصراع، إلا أن هذا النوع من الصراع تأخر قليلا نظرا للعصور المظلمة التي كانت سائدة في أوروبا آنذاك، فلقد كان العقل الأوروبي في تلك الفترة جامد الفكر، بل كان كل ما يكتسبه يأتيه من تراث القدامى على لسان الكنيسة، وقد آثر العقل الأوروبي الخنوع والانصياع للكنيسة وسيطرتها واتقى بذلك كل أسباب النزاع، وقد مكن امتداد نفوذ سلطة رجال الدين في اتساع سلطانهم الدنيوي وهيمنتهم على السلطة المدنية، من فرض سيطرتهم على كل من يعصي أو يتمرد عليها، وبهذا سيطرت الكنيسة على كل ميادين البحث العلمي واحتكرت الفكر والنظر العقلي وفرضت على العقول رقابتها الصارمة وأعاقت كل فكر علمي[1]، وعندما بدأت تظهر بوادر اليقظة العقلية في القرن الثاني عشر، لتعلن تمردها، نهضت السلطات الكنسية لمحاربتها، واستخدمت في ذلك كل أساليب القمع والتعذيب والسجن، وأساليب القهر الوحشية، فقد شهدت أوروبا نتيجة لهذا الصراع الدامي العديد من مظاهر التعذيب والقتل على يد أصحاب السلطة من رجال الدين، فقد اتهم أبيلارد (كما ذكرنا سابقا) الذي دعا إلي تحرير العقل من الفكر الخرافي الجامد وناقش مسائل لاهوتية متعلقة بعقيدة التثليث ، إذ يعتبر من بين أعظم الشخصيات في العصور الوسطى، من حيث إيمانه بالعقل دون أن يولي اهتماما للوحي وللمعتقدات الكنسية، ومن بين أشهر الكتب التي كتبها والتي أثارت الجدل والنقاش هما كتابه "مقدمة في اللاهوت" وكتاب" وكتاب "نعم ولا" هذا الأخير الذي وضع فيه أبيلارد أقوالا متناقضة قالها آباء الكنيسة[2]، وكان الذي أزعج الكنيسة أكثر من أي شيء آخر هوا قول أبيلارد أن الدين لا أسرار فيه، وأن العقائد كلها يجب أن تكون قابلة للتفسير القائم على العقل مما جعلها تقف منه موقف عدائيا واضحا، فكل من يحاول تفسير الأسرار المقدسة بقواعد العقل والمنطق يعتبر مهرطقا لان العقل إذ بدأ في تفسير هذه الأسرار الخفية سينتهي به الأمر إلى تدنيسها ، وعليه تم انعقاد مجمع سواسون عام

[1] أحمد علي عجيبة: **البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي**، مرجع سابق ص45،ص49

[2] نفس المؤلف: **أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي**، دار الأفاق العربية ط2014،1 ، القاهرة، نصر ص28 ص29.

(1121م) لمحاكمته وتمت إدانته دون ابن يستمع إليه وتم إحراق كتابه الذي تناول فيه عقيدة التثليث بعد أن أرغم على رميه في النار بيده[1]، وبعده جاء روجر بيكون (1294.1214م) الذي دعا إلى المنهج التجريبي، فقد كان مولعا بالفكر والتراث العربي الإسلامي وكان شديد الإعجاب بها، وقد استنكر بذلك طريقة الجدل الأرسطوطاليسية وهاجم التأمل العقلي الذي يلغي التجربة في تحديد المعرفة ،فاتهمته السلطات الكنسية بمزاولة السحر ، وانعقد مجلس فرنشسكاني لمحاسبته ، وقرر حرم كتاباته،مع حبسه في غرفته فلبث سجينا حتى عام 1277م إلى غاية 1292م)[2]، كل هذا الحصار الذي فرضته الكنيسة وكل هذا القمع والتهديد والحرمان لم يزد الناس إلا كرها ونقما عليها، خاصة وان الوسيلة التي كانت ترد بها على مخالفيها لم تثبت صدقها بل أثبتت أن كل ما تدعوا إليه ليس إلا زيفا وكذبا لابد من محاربته،ونظرا أنه لا سبيل لمواجهة المعتقدات الكنسية الدينية بالعقل والمنطق كان لابد من وجود سبيل آخر لبيان حقيقة ذالك الزيف الذي تدعوا إليه، لهذا ظهر رجال الإصلاح الديني الذين كانوا على دراية بأن ما تدعوا إليه الكنيسة ليست إلا أكاذيب ألسبتها ثوب القداسة لتطبعها على نفوس البسطاء من البشر ،لذلك كان لابد من مواجهتها بما تمليه الظروف آنذاك وكان ومن بين المصلحين الأوائل الذين دعوا إلى إعادة النظر في قوانين الكنيسة نجد:

جون ويكلف(1320،1384م) الإنجليزي ، الذي وضع جل مقولات الإصلاح الديني موضع التنظير والتطبيق معا، وقد شكك ويكلف في أحقية الكنيسة في السيطرة على أملاك المواطنين، ورأى أن القس أو الرهبان الفاسق يفقد حقه في ممارساته لواجباته ويقصى من عضوية الكنيسة بالمفهوم الحقيقي لها، فلقد كان متمكنا في مجال اللاهوت ولم تكن إي مؤسسة دينية أن تنكر ذلك، الإضافة إلى قدرته في فن الجدل والمناظرة فلقد كانت له العديد من الكتابات في هذا المجال، ومن ناحية أخرى كانت له رسالة واضحة يندد بها في نقد وتقويم المؤسسة الكنسية، وترتيب علاقاتها بالمؤسسة الزمنية، وهذا ما وضعه في رسالته المعنونة ب" السلطة المدنية" والتي حاول فيها ترتيب العلاقة بين الدين والسياسة وحدود كل منهما، فكان مشروعه هذا بمثابة الصورة الجديدة التي من خلالها سيتضح دور الكنيسة

[1] أحمد علي عجيبة: **أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي**، المرجع السابق، ص ،ص 31 ،32.
[2] نفس المؤلف: **البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي** ، مرجع سابق ص49.

الحقيقة، خاصة وان ويكلف كان موظف حكومي تابع للملك وليس للمؤسسة الدينية، فهوا مستقل كل الاستقلال عن الكنيسة ولكنه مرتبط بالقصر وسلطته الزمنية [1]، فكانت أول علاقة بين سلطة زمنية ورجل دين منفصل عن السلطة الدينية، الأمر الذي سهل عليه إدراك الصواب من الخطأ، في الأمور التي تفرضها الكنيسة على الناس، أما النقطة الثانية فكونه مقرب من السلطة واستقلاله عن الكنيسة قائم على أساس فكري فهوا كان يتعارض معها فقد هاجم سلطة البابا المطلقة، وقام بتدبير يكسر احتكار الكنيسة للوساطة بين السماء والأرض، وكان هذا التدبير أنه ترجم الكتاب المقدس إلى الإنجليزية الدارجة بعد أن كان حكرا على الكنيسة وحدها ،مما أدى إلى ثورة الكنيسة عليه ومنعت نشره، أما التدبير الثاني فهوا أن يحل الكتاب المقدس بدل الكنيسة فالإنسان في نظره يستطيع التواصل الله من خلال كلامه ،فقد أصبح مفهوما وليس لغزا وغير خاضع للتأويلات المستبدة، أما النقطة الثانية في نقده للكنيسة هي نقده السلوك الغير أخلاقي لدى رجال الكنيسة وتنظيفه مما يتناقض مع حقيقة المؤسسة الدينية، وفي ظل ذلك الواقع الذي كان يعيشه ويكلف خاصة علاقة الصراع بين السلطة الزمنية الانجليزية وعلاقتها بالسلطة الدينية قدم ويكلف حلولا حسب رؤيته التي انطلق منها خاصة انه كان متأثرا "بالجبرية"، التي أخذها عن أوغسطين واتخذها مرجعا له، تلك الجبرية التي ترى بأن الله يمنح بركاته ورحمته لمن يشاء وكتب على الإنسان مصيره منذ الأزل وليست الأعمال الصالحة التي تنجي صاحبها بل تدل على أن من يعملها قد تلقى رحمة الله ونعمت [2] ومن هنا كانت العلاقة القائمة بين الإنسان والله علاقة مباشرة لا تحتاج أية وسيط ،وعليه يجب رفض كل ما تدعوا إليه الكنيسة أو يدعوا إليه أي قس من أن تكون أو يكون هوا واسطة لابد منها،وبهذا المعنى يكون كل مسيحي قسيسا وليس بحاجة إلى أي أحد لكي يتواصل مع الله كما استنتج ويكلف من مذهبه مذهبا آخر، فهوا يرى أن كل شخص تحل عليه نعمة الله يشارك في امتلاك الطيبات، أما الملك الخاص والحكومة فهما أثر من أثار خطيئة آدم وخطيئة الإنسان الذي ورثها، ورأي الحزب المناهض للكنيسة في آراء ويكلف معنى في تنديده بثروة الكنيسة، ولما رفض البرلمان أن يؤدي الخراج الذي تعهد به إلى البابا، عين ويكلف قسا في خدمة الملك للدفاع عنه، ولما اقترح الملك جون أن

[1] عامر عبد زيد كاظم الوائي: **الإصلاح الديني قراءة المفهوم في التجربة المسيحية الغربية**، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ط1، ص 55.

[2] عامر عبد زيد كاظم الوائي: **المرجع نفسه**، ص ص56،57.

تصادر الحكومة بعض أملاك الكنيسة، دعا ويكلف إلى الدفاع عن هذا الاقتراح في سلسلة من الخطب الدينية ألفها في لندن، وكان جزائه بعد أن وسمه الحزب المناصر لرجال الدين بأنه آلة في يد جون، فاتهم بأنه مارق وخارج على الدين، وتم استدعائه للمثول أمام مجلس الأحبار في كنيسة القديس بولس، في شهر فبراير عام 1477م فامتثل للأمر لكنه جاء ومعه الملك جون تتبعهما حاشية مسلحة فحدث شجار بين الجنود وبعض رجال الكنيسة فتم تأجيل المحاكمة لا[1]، وكان وكليف في هذه الأثناء قد لقي تأييدا كبيرا من عامة الناس فضلا على تأييد الملك جون، واستطاع بذلك أن يتحرك بدون خوف وراح ينشر خطاباته وتنديداته بالثروة التي تحتكرها الكنيسة والتي تزداد كل فترة على حساب الشعب، حتى أن احد مستشاري الملك سأله قائلا" هل يحق لمملكة إنجلترا شرعا إذا كانت الضرورة تحتم عليها أن تعمل لصد ما يهددها من الغزو الفرنسي ،أن تمنع أموال الدولة من الوصول إلى البلاد الأجنبية وأن طالب البابا بالعقاب ممن يمنعها متعمدا..." فأجابه في منشور كان في حقيقة الأمر دعوة إلى فصل الكنيسة الإنجليزية عن البابوية بأن البابا لا يستطيع أن يطلب المال لا على سبيل الصدقة ولما كان أهل البلاد أولى من غيرهم بهذه الصدقات [...] فإن توجيه صدقات الدولة خارج البلاد يجعلها بلاها وحماقة [2]، ولقد كانت هذه الرؤية النقدية الإصلاحية تدعمها رؤية أخرى هي رؤية البرلمان الذي يهيمن عليه مؤيدو الملك والتي وجدت في العلاقة بين الدولة والكنيسة التي كانت وقتها خاضعة إلى دولة فرنسا عدوة انجلترا، وجد الملك وأنصاره الفرصة سانحة من اجل ضرب الكنيسة وممتلكاتها، وبذلك أكد ملوك انجلترا في تلك الحقبة على السيادة الداخلية والحد من امتيازات البابوية، ومن بين العوامل التي ساعدت على ذلك نجد. أن إقامة الباباوات في أفيون في حقبة الأسر البابلي(1305،1377م) ، وادعاء الباباوات تبعية انجلترا لهم إقطاعيا منذ عهد الملك جون من الأمور التي أرخت العلاقة بين الطرفين، والميل للاحتفاظ بالاتجاه الاقتصادي والداخلي والحفاظ على ثروة البلاد [3]، بالإضافة إلى التنظيمات الكنسية في انجلترا واتصالها المباشر أدى إلى الصدام وأصبح ملوك الانجليز يعتبرونها تدخلات خارجية، وفي ظل هذه الظروف كان ويكلف الرجل الدين الإصلاحي المناسب الذي يضفي الشرعية على مطالب الملك

---

[1] ول ديورانت: **قصة الحضارة**، ج1، مجلد6 ، تر، عبد الحميد يونس، دار الجمل، بيروت، ص ، ص 67،68 .

[2] نفس المرجع، ص69.

[3] عامر عبد زيد كاظم الوائي: ، **مرجع سابق**، ص ، ص 59، 60.

وأنصاره، فاشتد النزاع وراح يضرب قرارات البابا عرض الحائط دون خوف بعد أن صار مؤيدا من قبل الملك وحاشيته والكثير من الناس التي رأت في كلامه ما يوحي بالتحرر من العبودية للكنيسة ، وكانت تعليماته وقراراته بمثابة الترياق الروحي للشعب الإنجليزي كله، وعلى الرغم من جهود الكنيسة في الإطاحة به إلا أنه كان محميا من طرف الملك، ودعا إلى تجريد الكنيسة من كل الممتلكات، ولما كان عام 1384م دعا البابا أربان السادس ويكلف للمثول أمامه في روما، إلا أن ويكلف كان وقتها مريضا وأصيب بالشلل وقد كان يقوم بالقداس وتوفي بعدها بثلاثة أيام ،وتم البحث على كتاباته وأتلف كل ما عثر عليه خاصة تلك الآراء الكبيرة التي تندد بفساد رجال الدين واغتراب الكنيسة عن دورها الأخلاقي[1] .

جون هس (1369،1415م) كاهن بوهيميي ،كان تلميذا لجون ويكلف الذي كان يحترمه كثيرا كان هس مفكرا وفيلسوفا تشيكيا،ونتيجة لأفكاره التي كانت تعتبر امتدادا لأفكار أستاذه راح يلقي في براغ مواعظ تدعوا إلى الإصلاح الديني واستطاع أن يجلب إليه العديد من التابعين، هاجم هس نظم الأساقفة والكرادلة،والباباوات ودعا إلى ضرورة القيام بإصلاحات داخل نظام الكنيسة،وعلى الرغم من أنه يخالف أستاذه ويكلف في بعض القضايا خاصة فيما يتعلق بالقربان المقدس، ألا انه ترك تأثيرا كبيرا في الناس إذ بدأ كثير من المتدينين يتساءلون في مدى أحقية السلطة البابوية، بل إن جون هس ذهب للقول بأن البابوية هي مؤسسة الشيطان ولا علاقة لها بالدين بتاتا، وهذا ما خلق له أتباعا كثر ،ولتل هذا التأثير الذي خلفه هس، هوا الذي جعل السلطات الدينية تتحسس منه الخطر خاصة خطاباته اللاذعة ضد الكنيسة، فاتهم بالهرطقة ،لأن أفكاره تعتبر امتدادا لأفكار أستاذه ويكلف وقد جعلته هذه الأفكار يتعرض إلى الحرمان الكنسي ثم إلى الطرد عام(1410م) ثم تم استدراجه إلى روما بالتعاون مع الإمبراطور، إذ سجن ثم تم حرقه بتهمة الهرطقة عام(1415م [2]، خاصة وأنه قبل محاكمته قال على أستاذه ويكلف " أنني على ثقة من أن ويكلف سينجو، ولكن لو اعتقدت أنه سيعذب لتمنيت أن تكون روحي مع روحه" [3]، وعلى

---

[1] ول ديورانت: **قصة الحضارة**،جزء1، مجلد 6، مرجع سابق ص ، ص 75،77.

[2] عامر زيد كاظم الوائي: ، **مرجع سابق** ، ص 65،ص67.

[3] ول ديورانت **:قصة الحضارة**، ج2، م 6، تر، عبد الحميد يونس ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم، بيروت ،ص 5.

الرغم من كل ما أصابه فقد عد من احد الشخصيات الأكثر حضورا في نفوس أتباعه، نظرا لثقافته الواسعة من جهة وتلك الأفكار التي دعا إليها من جهة أخرى، خاصة احتجاجاته على الكنيسة،فقد عمل لي المرحلة الأولى إلى ترجمة الإنجيل إلى اللغة التشيكية وألف سلسلة من المؤلفات حول المشكلات الدينية مثل عبادة الصور وحياة المسيح والعديد من الشروح حول النصوص المقدسة أما في المرحلة الثانية فقد أقدم على التنديد وبشكل مباشر على امتيازات الأكليروس وأهم ما يمز هذه المرحلة على المستوى الفكري الجرأة التي أظهرها في كتاباته المنتقدة للكنيسة وفي طليعتها كتاب " نداء إلى البابا" وكتاب " قراءة كتب الدعاة لا إحراقها" الذي دافع فيه على أفكار أستاذه ويكلف ،ولقد رفض وساطة الكنيسة في الخلاص وأقام بدلا عنها سلطة الكتاب وقال بأن المسيح وليس أي مسؤول آخر هوا الرئيس الحقيقي للكنيسة إلا أن موقف الكنيسة كان صارما جدا فقد اصدر البابا مرسوما في 20ديسمبر 1409 بتحريم جميع كتبه والعمل على إبطالها وقد قامت بإحراق كل الكتب والمخطوطات التي تعود لأستاذه ويكلف ،وفي عام 1414م استدعي هس أمام مجمع كونتيستان وهوا اجتماع ضم زعماء الكنيسة في ألمانيا واستمر لمدة ثلاث سنوات ثم تم الحكم عليه بالإعدام وحرقة في مدخنة فوق سطح أحد المباني ولم يسمح له بالدفاع أو توضيح أفكاره حول الكتاب المقدس [1]، ومن هنا تأكدت سيطرة الكنيسة الكاثوليكية وأصبحت بهذه الأفعال تعتبر الخطر الذي يهدد أي شخص تسول له نفسه أن يخالف أو يأتي بشي غير الذي تقره الكنيسة

المطلب الثاني: العلم والعلماء

"كبحت الكنيسة العقول وقيدتها، وفرضت الحصار على الأفكار ولجمتها، وردت النظريات العلمية ورفضتها، لا خوفا على الدين، بل حفاظا على قدسيتها وخوفا من انهيار صرحها على يد النظريات العلمية ،فينهار بنيانها ويزول طغيانها ، فرفضت كل ما جاء عن غير طريقها وخالف معارفها، واعتبرت أن قمة الظلال هو البحث عن الحقيقة في غير الكتاب المقدس"[2] ، فخلال العصور الوسطى وبالتحديد من القرن السادس إلى القرن العاشر كان تقهقر الثقافة جراء العنف من السمات المسيطرة على الغرب، حيث كانت الكنيسة هي

[1] عامر زيد كاظم الوائي: **مرجع سابق** ،ص71،68 .

[2] أحمد عبد الله آل سرور الغامدي: **الصراع بين الكنيسة والعلم أسبابه وآثاره**، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية، ص20

المحضر الوحيد لكل قوالب المعارف، كما أن العلم في هذه الفترة ارتبط اسمه بالسحر و التنجيم والخرافات، فلم يبقى من العلم إلا اسمه، ولم يبق من المدارس إلا المدارس التي تؤهل الدين، أي المدارس الأسقفية وأديرة الرهبان، وأضحت الثقافة طوال قرون طويلة احتكارا للكنيسة، التي كانت الوريثة الوحيدة لقطاع البحث العلمي، فخلال تلك القرون كان رجال الدين هم الذين يصنعون اللاهوت ويصنعون العلم ومما لاشك فيه أنه في تلك الفترة لم يكرهوا العلم، بيد إن هذا الأخير كان خادما مساعدا فقد صار فرعا من اللاهوت، أي علم اللاهوت الطبيعي، لهذا فإن الكنيسة كانت المسؤولة الأولى عن ركود العلم في تلك الحقبة وهذا ما ذهب إليه العديد من المؤرخين والفلاسفة منذ عهد "الأنوار" فقد خلصوا إلى نتيجة مفادها أن الكنيسة قد شلت العلم جراء مبدأ السلطة وتفوق العادات والأساطير، ونبذ الملاحظة والرقابة وهذا ما عبر عليه أيضا فليكس سارتيوا عام 1926 حيث أكد بأن المراقبة المباشرة للطبيعة لم تقوم في ذلك بأي دور ولم تمثل في نظر الكاهن أو الراهب أية فائدة، ولثبت الأساطير توفر شروطا كاملة وجاهزة تماما[1] ،أي أن النظر العقلي آنذاك كان غائبا تماما عن الوجود نظرا لسلطة الكنيسة وسيطرتها على سبل التفكير وكان الاعتقاد السائد حول العالم وطبيعية الكون لا يخرج عن نطاق ما عرفته الكنيسة من علم بطليموس وأفكار أرسطو التي صاغها توما الإكويني،لم تبلغ الخصومة بين اللاهوت والعلم من الشدة ما بلغته في القرون الوسطى خاصة مع الديانة المسيحية الكاثوليكية المتعصبة، والسبب في ذلك أنه قامت لدى اللاهوتيين فكرة ثابتة في أن العلم لا يجب أن يبشر بشيء فيه مخالفة لما جاء في الأسفار المقدسة،مع أن طبيعة الدين في الواقع إرشادية اجتماعية لا تعليمية،ولكن شاءت عقول اللاهوتيين آنذاك أن تكون وظيفته تعليمية.لهذا نشأ الخصام بين الدين والعلم وهوا في حقيقة الأمر خصام ناتج بين اللاهوت المسيحي التشبع بالوثنية مع حقائق العلم، وعلى رغم من ظهور بعض اللاهوتيين الذين أقروا أن الدين لا شأن له بالعلم وأن وظيفته تنحصر في أن يعرف الناس طريق الخلاص في الآخرة، لا حركة الأجرام السماوية وتكوين الأرض إلا أن المذاهب الشائعة ومن ورائها محاكم التفتيش.لم تترك لأمثال هؤلاء مجالا، بل إن ما زاد الأمر حدة أن اللاهوتيين وعلى رأسهم الباباوات _المعصومين

[1] جورج مينوا: **الكنيسة والعلم، تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي**، تر، موريس جلال، الأهالي ط 1، سوريا، دمشق 2005 ص ، ص 167،168.

من الخطأ_ كانت قد زكت المذاهب اللاهوتية وزادت من نفوذها ومصداقيتها حول ما تصوغه من تفاسير [1]، إلا أن التحولات التي صاحبت العقل الأوروبي منذ القرن الثاني عشر، كانت كفيلة باشتداد الصراع بين الدين والعلم، فالتطور الكبير في التفكير الأوروبي خاصة في المجال العلمي بات ينذر بهدم ما اعتمدته الكنيسة من مسائل علمية خاصة تلك المتعلقة بقضايا الفلك والكون، فلقد اعتنقت الكنيسة رأي بطليموس في الفلك تلك النظرية القائلة بأن الأرض ساكنة في مركز العالم لأنها من تراب والمكان الطبيعي للتراب هوا الأسفل، فهي ثابتة لا تدور لا حول نفسها ولا حول غيرها، فلقد كان بطليموس الذي جاء في القرن الثاني ميلادي ووضع كتابه المعروف ب "المجسطي" ودون فيه فروع علم الفلك، لتبقى المرجع الأساسي حتى القرن السادس عشر ميلادي، وقرر سكون الأرض باعتبارها مركز الكون ودوران الشمس وسائر الكواكب حولها،وقد اعتنقت الكنيسة هذا الرأي وأهملت الرأي المخالف الذي عرف عند قدماء الفيثاغورين، إذ افترض هؤلاء أن مركز العالم يجب أن يكون مضيئا بذاته لأن الضوء خير من الظلمة، ويجب أن يكون ساكنا لأن السكون خير من الحركة، إلا إن الكنيسة ورجال الدين تمسكوا برأي بطليموس وحتموا على العلماء أن يقولوا نفس القول وهكذا أكدت الكنيسة على نظرية الثبات ودللت عليها من الكتاب المقدس وتصورت أن الإيمان يحكمه القصد والتدبير في خلق الحياة على الأرض[2]، ضلت هذه الرؤية صامدة وقائمة حتى جاء العالم الفلكي كوبرنيكوس (1473//.1543م) الذي قلب الموازين وقال بدوران الأرض والمواكب حول الشمس ، وكانت فكرة الكنيسة القائمة آنذاك هي أن الأرض هي مركز الكون، لذلك فأن القول بحركتها يتعارض مع تقره الكنيسة، إذ تعتبر هذه النظرية ضربة قوية وثورة كبيرة عليها خاصة أنها تمثل السلطة الروحية لعامة الشعب والتي تصدر الحقائق الثابتة بالنسبة للناس وقد عبر توماس كون على هذه الثورة فاعتبرها ثورة بمقاييس عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: أنها ثورة تدعوا إلى ضرورة استقلال البحث العلمي، كما تحمل في طياتها استقلال نطاق الطبيعة على نطاق العقيدة الدينية ،كما تعتبر تحولا جذريا عن نظرية مركزية الكون التي ألزمتها الكنيسة بالإضافة إلى أن هذه النظرية كانت أساسا في ظهور الأفكار التي جاءت فيما بعد عن

---

[1] أندرو ديكسون وايت: **بين الدين والعلم، تاريخ الصراع بينهما في العصور الوسطى**، تر، إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، مدينة نصر، القاهرة، مصر، ص19.

[2] أحمد علي عجيبة: **أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، مرجع سابق** ص87،81.

حركة الأجرام السماوية[1]، وعلى الرغم من هذه النظرية قد بدأت جديدة تماما إلا أنه في واقع الآمر من اختراع الإغريق ومن المؤكد أن أول عالم فلك قال بدوران الأرض هوا " أرستاكوس" من ساموس الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد، وقد اتهم بالكفر وأدانه الرواقي كليثينيس ،إلا أنه يعيش في عصر ليس للمتعصبين فيه أي نفوذ يذكر بعكس عصر كوبرنيك الذي كان التعصب والقتل هوا أول ما يصدم به أي مفكر أو عالم جراء أفكاره. تمسك كوبرنيك بالرأي القائل بأن مدار الشمس لابد أن يكون دائريا مفسرا عدم انتظامه أن الشمس ليس في مركز أي من المدارات، كان كوبرنيك يدرك تماما أن أريستاكوس قد سبقه بالمناداة بجوهر نظريته، ويجرع هذا الفضل في إدراكه هذا إلى إحياء المعارف الكلاسيكية في إيطاليا، غير أنه أجل نشر نظريته لفترة طويلة خوفا من لوم الأكليروس[2]، وفي حقيقة الأمر أن كوبرنيك نفسه كان من رجال الأكليروس فلقد أهدى كتابه إلى البابا وقد ناشره أو سياندر بإضافة تصدير إلى الكتاب، قال فيه أن نظرية دوران الأرض مجرد افتراض وغير مؤكدة كحقيقة أجابية، وهي حيلة من أجل تجنب المشاكل مع الكنيسة، وعلى الرغم من هذا فقد كان الأمر عسيرا على الفهم والقبول فقد قال لوثر " الناس يستمعون إلى فلكي نصاب يحاول أن يبين أن الأرض هي التي تدور ....ولكن الكتاب المقدس يخبرنا أن "هوشع" أمر الشمس وليس الأرض أن تقف في مكانها" وكذلك قال كالفن الذي قال" من الذي سيجرأ على وضع مرجعية كوبرنيك فوق مرجعية روح القدس[3]، غير أن هذين الرجلين رغم تشددهم حول نظرية كوبرنيك إلا أنهم من الذين ثاروا على الكنيسة ومعتقداتها خاصة في ما يتعلق بالأمور الدينية، وعلى الرغم من أن كوبرنيك كان قسيسا إلا أنه لم يكن لينجوا لولا أنه أدركه الموت بعد طبع كتابه بقليل، فلم تعطى المحكمة فرصة لمعاقبته، إلا أن الكنيسة حرمت كتابه "حركات الأجرام السماوية" ومنعت تداوله وقالت أن ما فيه ليس إلا وساوس شيطانية مغايرة لروح الإنجيل، وظنت أن أمر هذه النظرية قد انتهى إلى الأبد، ولكن ظهر "جردانوا بورنوا" الذي أعاد بعث النظرية من جديد بعد وفاة كوبرنيك فقبضت عليه محكمة التفتيش وزجت به في السجن ستة سنوات فلما أصر على رأيه أحرقته سنة 1600م،وذرت رماده في الهواء وجعلت عبرة لم اعتبر، وبعد موته بسنوات كان "جاليوا" قد توصل إلى صنع المرقب

[1] أحمد عبد الله آل سرور الغامدي: **مرجع سابق**، ص ص21،22.
[2] برتراند راسل:**الدين والعلم**، تر، رمسيس عوض، دار الهلال ، ص ، 16،18.
[3] نفس المرجع، ص ،19.

"تليسكوب" فأيد تجريبيا ما ناد به أسلافه نظريا فكان ذلك مبررا للقبض عليه ومحاكمته قضى عليه سبعة من الكرادلة بالسجن وأمر بتلاوة مزامير الندم السبعة، ولما خشي على حياته بالطريقة التي انتهى بها بورنوا أعلن ارتداده عن رأييه وهوا راكع على قدميه أمام المحكمة قائلا " أنا غاليوا وقد بلغت السبعين من عمري سجين راكع أمام فخامتك والكتاب المقدس أمامي ألمسه بيدي، أرفض وألعن وأحتقر القول الإلحادي الخاطئ بدوران الأرض [1]، ثم أحيل بعد ذلك إلى الإقامة الجبرية في ضواحي فلورنسا وأتيح له أن يكمل بحوثه وهوا تحت الرقابة،ولم تعترف الكنيسة الكاثوليكية بأخطائها في حق غاليو إلا بعد مرور أكثر من ثلاثمائة سنة على محاكمته وقد استمرت محرقة محاكم التفتيش حتى القرن السابع عشر بل وحتى القرن الثامن عشر ،ومن الأمثلة على ذلك حادثة شهيرة حدثت في عصر التنوير لشخص يدعى جان فرنسوا لا بار، في القرن السابع عشر، حيث تم قطع يده لأنه كسر الصليب واقتلعوا لسانه ثم أحرقوه حيا،وقد استغل فولتير هذه القضية وهاجم الأصوليين المسيحيين هجوما شديدا ومن الأمثلة الأخرى ما حصل للفيلسوف ميخائيل سيرفيوس الذي أحرقوه حيا بتهمة التشكيك بعقيدة التثليث [2]، كل مظاهر التعسف في حق العلماء بالدرجة الأولى لم يكن وليد الحفاظ على قداسة الدين بقدر ما كان خوفا من سقوط ما كان يعتقده الإنسان الأوروبي لهذا كان لازما على الكنيسة الكاثوليكية أن تحارب ما أسمته بالهرطقة بشتى أنواعها حفاظا على مركزيتها وسلطتها.

[1] سفر بن عبد الرحمان الحوالي : **العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة**، دار الهجرة، مطبوعات المركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ص ، ص 151،150.

[2] أحمد محمد عطيات: **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش**، ط1، دار الأمواج للنشر والتوزيع، عمان 2012، ص155.

الفصل الثاني:

الإصلاح الديني اللوثري ضد الكنيسة الكاثوليكية الأصولية

تمهيد

العصور المظلمة، ربما هذه العبارة القصيرة التي طالما ترددت على مسامعنا، قد عبرت أحسن تعبير على ما كان يعيشه المجتمع الأوروبي في حقبة العصور الوسطى، تلك العصور الذي لا يختلف عليها اثنان بأنها كانت تمثل بؤرة الظلام والجهل على المجتمع الأوروبي الذي عصفت به رياح الجهل والخرافة، حتى جعلت منه وصمت عار كلما أعاد الإنسان تذكرها، فلقد استطاع رجال الأكليروس أن يجعلوا من الإنسان الأوروبي دمية يحركونها كيفما شاءوا بسم الدين، وعاثوا في الأرض فسادا، فلم يكن أحد قادرا على أن يعصي لهم أمرا ولا أن يجادلهم في أمرهم، خاصة أن سلطة الكتاب المقدس –التي كانوا يزعمون أنهم ينهلون كل ما يقولونه منها– كانت حكرا عليهم وحدهم، فعاش المجتمع الغربي عيشة أقل ما يقول عنها بأن حياة عزلة على كل ما هوا موجود في العالم، غير أن التعطش والفضول لمعرفة الحقيقة كان سؤالا يتبادر إلى ذهن الإنسان البسيط قبل المثقف منهم، وكان لابد أن يأتي اليوم الذي تعلوا فيه راية الحق على الباطل، ولعله من أبرز الذين رفعوا هذه الراية هوا الراهب الألماني مارتن لوثر الذي أعلن ثورته على كل ما هوا سائد آنذاك، ولقد ساعده في ذلك معرفته خاصة في المجال الديني ، فكانت رؤيته وتصريحاته بمثابة فتيل الحرب الذي اشتدت وذاع صيتها في البلاد، وراح يضرب قرارات الكنيسة عرض الحائط، وأصبح بذلك الرجل الذي قادة ثورته الإصلاحية المجتمع الأوروبي إلى نزع غطاء الجهل على كل ما هوا مقدس، واستطاع الإنسان الأوروبي في الأخير أن يتخلص من ذلك الخوف الذي كان يسكنه طوال فترة العصور الوسطى.

وفي هذا المبحث سوف أعرض المسار الذي مرت به حركة الإصلاح الديني اللوثري، وكيف ساهمت في بث الوعي داخل صفوف الإنسان الغربي، وأهم النتائج التي ترتب عليها.

المبحث الأول: مارتن لوثر وحركة الإصلاح الديني

المطلب الأول: الإصلاح الديني أسبابه و تجلياته في فكر مارتن لوثر.

شهدت القرون الثلاثة التي سبقت حركة الإصلاح الديني، صراعا بين ملوك أوروبا والكنيسة فبعد أن كانت للكنيسة السلطة المطلقة على الحكام المدنيين، إلا أنه نتيجة لانغماس رجال الدين في الملذات وتشيدهم للقصور وحياة الترف، بلغ الأمر أن اضطهد الملوك سلطة البابا وسعوا إلى استيراد سلطتهم المدنية، وقد تولى بعض المصلحين _كما ذكرنا سابقا_ مثل جون ويكلف وجون هس وغيرهما، انتقاد هذه الممارسات والوقوف ضد تلك المفاسد لكن دون جدوى، الأمر الذي أدى إلى فقدان الكنيسة لقيادتها الروحية، وبدأ ينموا بين العامة شعور ديني عميق، حول ممارسات الكنيسة التي أصبحت لا تهتم بمهمتها الدينية ، فتولد نوع من القلق الشديد بين العامة ورؤسائهم خلال القرنين الرابع والخامس عشر ميلادي[1]، بالإضافة إلى تاريخ الكنيسة الحافل بالإجرام، خاصة فيما يتعلق بالعلماء وتعمد إحراقهم أحياء وإتلاف كتبهم، بدعوى مخالفتهم لتعاليم الكنيسة المقدسة، بالإضافة إلى وجود تيارات متصارعة داخل الكنيسة الكاثوليكية حول منصب البابا، خاصة في أواخر القرن الرابع عشر، أين ادعى أكثر من بابا في الوقت نفسه الأحقية بزعامة الكنيسة، وهذا ما حصل فعلا إذ كان أربيون السادس (ت 1389) بابا في روما في الوقت ذاته أعلن كليمانس السادس (ت1394) نفسه بابا على أفيون الفرنسية، كل هذه الأحداث التي طعنت في سلطة الكنيسة، جعلت الكثير من أهل الإيمان وعامة الناس تنفر منها ومن ممارساتها الدنيوية التي لا صلة لها بالشؤون الدينية[2]، بالإضافة إلى ظهور حركة النهضة الأوروبية التي سعت إلى تنمية شخصية الفرد وتحريره من كل الخرافات، فعلى الرغم من محاولات الكنيسة في الحفاظ على تقاليدها، ورفضها لأي تفسير جديد يخالف رؤيتها، إلا أن هذه الروح كانت متعطشة إلى الحرية، فنشطت حركة إحياء الدراسات القديمة، بالرجوع إلى الفكر اليوناني القديم، والاهتمام باللغات خاصة العبرية واليونانية، مكن العلماء من قراءة النصوص المقدسة، واستطاعوا أن يعرفوا تطور الكنيسة خلال التاريخ، ومعرفة كل التغيرات التي جرت لها كان من أسباب ظهور حركة الإصلاح الديني، إلا أن العامل الديني كان الرئيسي

---

[1] أشرف صالح محمد سيد: **أصول التاريخ الأوروبي الحديث**، دار ناشري، ط1، الكويت، 2009، ص ص 97، 98.

[2] بسام الجمل : **الإصلاح الديني الحديث بأوروبا مفهوما ومسارا تاريخيا (مقاربة تفهمية نقدية)** ، مؤمنون بلا حدود ، ص4.

والبارز، فقد كان واضحا للعيان أن العقيدة قد أصيبت بالجمود الفكري والتعصب بسب عمل رجال الدين، مما ساهم بدرجة كبيرة في ظهور الإصلاحيين، من أجل رفع المستوى الفكري وتنقية العقيدة من الشوائب[1]، كل تلك الأحداث التي شهدها العالم الأوروبي جراء الكنيسة وفساد رجالها كان كفيلا بظهور مصلحين وهذا ما حدث بالفعل، فقد ظهر الألماني مارتن لوثر* (1483،1546م) الذي كان متشبعا بالدين والثقافة، فشن حربا فكرية كانت الأقوى والأكثر تأثيرا، فلقد شكلت زيارته إلى روما منعطفا حاسما في فكره، حين رأى حال الرهبان الذي نزل عليهم ضيفا وحالة الكنائس و الأكليروس عامة، الذين كانوا يعيشون حياة الترف، الأمر الذي تأثر به لوثر تأثرا شديدا، فقد صدم عام 1517م، حين جاء أحد الرهبان وهوا يوحنا تنزل مرسلا من البابا ليو العاشر، ليبيع صكوك الغفران في وتنبرج، بدعوى أنها كافية لتخليص من يشتريها من كل الخطايا، بل إن تنزل قال عن صكوك الغفران بأنا كفيلة بتخليص المذنبين، حتى ولو كان هذا الذنب مرتبطا بمريم العذراء، وهذا ما أثار لوثر ووجه اهتمامه نحو مسألة صكوك الغفران، إذ أصبحت مسألة الغفران تشترى بالمال بعد أن كانت ترتجى أو يتوصل إليها عن طريق التوبة، والاعتراف والندم والتكفير عن الذنب[2]، وفي حقيقة الأمر كان الهدف من بيع صكوك الغفران، هوا تدعيم الحروب الصليبية آنذاك وإعادة ترميم كنيسة بطرس، إلا أن لوثر انتهز فرصة اجتماع أهالي وتنبرج وعلق على باب الكنيسة احتجاجا على بيع هذه الصكوك، وقد شمل هذا الاحتجاج خمسة وتسعون أطروحة، وأصر على ضرورة اتخاذ الكتاب المقدس وحده دستورا لتفسير أي موضوع يختلف فيه حول العقيدة، ومن أهم تلك الآراء التي تضمنتها تلك الأطروحات نذكر خاصة :

_ طلب المؤمن المغفرة عن خطاياه تكون من الرب لا من البابا

_ إن بيع من يبيع صكوك الغفران أو يشتريها طمعا في الخلاص يعتبر ملعونا

_ على المسيحيين أن يعلموا أنهم أحرار في طلب المغفرة وليسوا ملزمين بذلك أبدا

---

[1] زين العابدين شمس الدين نجم: **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، دار المسيرة، عمان ، ط1، 2012، ص ص127، 128.

* : ولد مارتن لوثر في عام 1483م، في مدينة أيسليبن ،الألمانية من عائلة فلاحيه، عرف بذكائه المتقد وخياله الممزوج بالقلق الوجودي نظرا لتلقيه في طفولته تعليما دينيا صارما، نال الدكتوراه في الكتاب المقدس عام 1512م، و مؤسس المذهب البروتستانتي الذي جاء كرد فعل عن المذهب الكاثوليكي. (ليث كاظم: معادة السامية في فكر مارتن لوثر، مجلة العلوم السياسية والقانون، مجلد الأول ، العدد4، 2017، صدر عن المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا ، برلين،ص،ص260،259.

[2] زين العابدين بن سيف الدين نجم : **نفس المرجع**، ص 33.

إن الكنز الحقيقي للكنيسة هوا الإنجيل المقدس فقط [1].

هذه عينة من المهام الإصلاحية التي دعا إليها لوثر من خلال مقالاته الخمس وتسعين، ومن المؤكد أن لوثر قد شدد على ثلاث مسائل في عمله الإصلاحي، أولها حظر بيع صكوك الغفران، أما الثانية فالدعوة إلى إرساء إيمان فردي دون أية وساطة كهنوتية، وثالثها التخلي على عدد من العقائد المسيحية تستثمرها الكنيسة في جمع الأمور، وفضلا عن ذلك اعتمد لوثر منهجا في التعليم الديني مخالف للتعليم الديني الكنسي، وهذا ما جسده في كتابه" كتاب التعليم المسيحي الصغير" الذي أصدره سنة 1529م وقد جعله بلغة سهلة لتسهل عملية حفظه، ووجهه إلى أرباب العائلات يتخذونه مرجعا معرفيا لتعليم ابناهم مبادئ الديانة المسيحية، وفي إطار هذا التوجه اخضع لوثر عدد من أسفار العهد الجديد للنقد الجذري بطريقة غير مسبوقة في تاريخ المسيحية فقد اعتبر أن ما جاء في " رؤيا يوحنا " لا يمكن أن يكون صادرا عن روح القدس[2].

ويعتبر "الكتاخيسموس" أو كتاب التعليم المسيحي بمثابة المرجع الأساسي الذي وجهه لوثر إلى العائلات وكان يهدف من هذا الكتاب أن يعطي تعاليم تتناسب مع الديانة المسيحية النقية التي رأى انه من الواجب إعادة توضيح عدة مساءل والكشف عن المغالطات بالإضافة إلى جعل لغة الكتاب سهلة ومشروحة بلغة يفهمها الإنسان العادي، ويدرك من خلالها مراد الله الحقيقي فنجده في القسم الأول من هذا الكتاب والذي تكلم فيه عن الوصايا العشر يشرح هذه الأخيرة يشرحها بطريقة مبسطة، بحيث يكتب الوصية ثم يشرح معناها فمثلا في الوصية الأولى " أنا الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامي " ثم يحاول تبسيط معنى هذه الوصية فيقول " علينا أن نخاف الله ونحبه فوق كل شيء، ونلقي اتكالنا عليه"[3] ، ومن هذا المنطلق يتأكد جليا أن مارتن لوثر أراد أن يبين للإنسان المسيحي بصفة عامة، تعاليم الدين الحقيقية بعيدا عن كل ذالك الكلام المثالي الخاطئ، الذي ألبسته الكنيسة لباس القداسة حتى صار الإنسان لا يعي حقيقته، وقد استطاع لوثر أن يبلور عقيدة جديدة تعرف ب البر بالإيمان وتعني " أن الخاطئ يتبرر من خطيئته بواسطة الإيمان لا بالأعمال " [4]،

---

[1] بسام الجمل: مرجع سابق، ص 5.

[2] بسام الجمل:المرجع نفسه، ص6

[3] مارتن لوثر: **أصول التعليم المسيحي "الكتاخيسموس الصغير"** ، تر ونشر، المركز اللوثري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط ، بيروت، لبنان ، ص11.

[4] **المصدر نفسه**، ص7.

فقد أدرك بعد محاولات عديدة ما الذي عناه الرسول بولس عندما كتب إلى أهل رومية، بأن بر الله أو عدله يتجلى في الكتاب المقدس وليس في الناموس وبهذا كانت هذه العقيدة انقلابا على كل التقاليد الكنسية التي امتدت لعصور طويلة، وضربت في الصميم الوساطة الروحية لرجال الدين وجميع اللاهوت السكولائي، ووجد أن الكتاب المقدس وحده السلطة المعصومة التي نحتاجها، ورأى لوثر في عقيدته أنه لا حاجة إلى وسيط خاص بين الله والإنسان، وبالتالي يمكن لكل إنسان أن يبشر بكلمة الله مادام الكتاب المقدس هو المرجع الأساسي لكل خطاب ديني، ومن هنا توصل لوثر إلى أن الأعمال الخيرة ليست هي ما تصنع الإنسان الخير، بل إن الإنسان الخير هو الذي يصنعها، وبهذا يكون الخلاص متعلق بجوهر الإنسان ورؤية الله لنفس المؤمن من الباطن لا الظاهر، فالطقوس الخيرة المرئية لا تحقق أي نعمة للفوز بالعفو الإلهي، فالإيمان له الأولية في فكر لوثر، وبدلا من قول بولس " يحيا البار بالإيمان" أصبحت مع لوثر " يحيا الإيمان وحده " فالطبيعة البشرية تقابلها الطبيعة الإلهية، والعدالة الإلهية لا تريد من الإنسان أن يكون منافقا يتصرف بروح مختلفة عن طبعه الحقيقي[1]، ومن هنا فإن الأمر سيكون علامة على قتل وقمع الروح الطبيعية للإنسان نفسه، والطمأنينة والتدين نور يقذفه الله في نفس الإنسان المجبولة بطبعه.

وعليه "فإن الناس الذين يفهمون مفاتيح الملكوت هذا الفهم، ويطلبون المغفرة وينالونه بحسب إيمانهم البسيط هذا، يكون فهمهم هو الصحيح وهو الملائم والكافي، أما تعليم التوبة الذي يعلم الناس أن مغفرة خطاياهم لا يمكن الحصول عليها إلا بواسطة أعمال التكفير فقط، فهوا وهم وخداع [2]" و لقد كان لهجوم لوثر على صكوك الغفران أثر بالغ في نفوس المسيحيين، لأن مساوئ رجال الدين كانت قد بلغت الحد الأقصى في تماديها، لكن لم يكن أحد يتوقع أن الأمر قد يتطور إلى ثورة دينية تؤدي إلى انقسام في العالم المسيحي، وإلى حروب دينية طاحنة خلال القرنين السادس والسابع عشر، وقد حاولت البابوية بشتى الطرق إلقاء القبض على لوثر وترحيله إلى روما، إلا أنها أخفقت بفضل حماية فريدريك أمير سكسونيا له، فرأى البابا أن يسلك مع لوثر طريق الإقناع، فأرسل إليه أحد رجال الدين لمجادلته، لكن هذه الوسيلة باءت بالفشل، ففي عام 1519م، نظمت مناظرة بين لوثر وبين

---

[1] قاسم جمعة راشد، خضر دهو قاسم : **الإصلاح الديني عند مارتن لوثر جدل اللاهوت والسياسية**، لأرك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ،ج2 ،العدد 28، ص ص 6، 7.

[2] نقلا عن جوزيف ممدوح: **وثيقة أطروحة الخمس وتسعون مارتن لوثر**، سلسلة اسأل فكر أقرأ ابحث ، ط1، 2017،ص32.

حنا أيك _وهوا من أكبر أنصار الكنيسة الكاثوليكية في ليبزج _ لكن لوثر صرح قائلا، بأن صكوك الغفران، بل وحتى البابوية ذاتها جديدة لم تكن معروفة في عهد الرسل الأولين، وأن المجامع الدينية ليست معصومة من الخطأ، كما دعا لوثر حكام ألمانيا لإرغام الكنيسة على قبول الإصلاح طالما أنها لم تستجب للدعوات المتكررة لتصلح نفسها بنفسها، وقد لخص لوثر بعض المبادئ التي دعا إليها فيما يلي:

ـ إخضاع رجال الدين للسلطة الدينية

ـ إباحة زواج رجال الدين وقد تزوج هوا فيما بعد بإحدى الراهبات تدعى كاترين بورا

ـ الحد من الأديرة والاتجاه لإلغاء الرهبنة و الديرية

ـ ليس للبابا الحق في احتكار تفسير الإنجيل[1] .

وأثناء تلك الفترة التي كثر فيها النقاش والمجادلات، كتب لوثر نداءه المشهور الذي عنونه ب " إلى نبلاء المسيحية في الأمة الألمانية" وكان هذا النداء دعوة المقاطعات الألمانية أن تتحرر من سلطة روما، كما تضمن إنكار سلطة البابا والكهنة المتميزة، معلنا بذلك أن جميع المؤمنين كهنه ولهم حق الاقتراب من الله مباشرة، وأنه من حق كل مسيحي أن يقرأ الكتاب المقدس ويفسره، وليس من الحق قاصرا على البابا وحده، وبعد أن فشلت كل المحاولات في إسكات لوثر خاصة بعد الدعم الذي تلقاه من حكام ألمانيا وعامة الناس، اتخذ البابا ليو العاشر قرارا بإنذار لوثر وأتباعه بالحرمان إن لم يتراجع على هذه الهرطقات، في خلال ستين يوما، وإلا فإنهم يعتبرون محرومين من السماء ويحق لأي حاكم أن يعتقلهم ويحكم عليهم بالموت، كما دعا البابا جميع المخلصين لإحراق كتب لوثر، وأصدر البابا في يناير سنة 1521م قرار بحرمان لوثر وبقي أن تنفذ السلطة المدنية هذا القرار[2] ، وكان يمكن أن يحدث له ما حصل لغيره من المصلحين، لولا أن أمير سكسونيا فريدريك لم يشأ إعدامه دون إعطائه فرصة لكي يوضح أقواله، خاصة بعد الشعبية التي حظي بها، وبضغط من البابا قرر شارل الخامس أن يعقد مجلسا لمحاكمة لوثر في مدينة ورمس بألمانيا عام 1521م، بعد أن تحولت قضيته من مجرد جدل لاهوتي إلى قضية تمس سلطة الكنيسة، بل وأصبحت قضية سياسية وقومية، وأمام المجلس الإمبراطوري واجهوه بالكتب التي أصدرها

---

[1] شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم: **تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة**، المكتب المصري للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص ص، 48،49.

[2] القس فايز فارس : **أضواء على الإصلاح الإنجيلي**، مطبعة القاهرة الحديثة، ط1، القاهرة، 2000، ص 34، 35.

وطلبوا منه أن ينفي ما جاء به فطلب لوثر فرصة للكلام ، وفي الغد قدم لوثر جوابه الذي كان صارما، وتكلم عما توصل إليه من كتاب الله، ولم يرضى أن يتنازل عن موقفه وختم حديثه قائلا " إنني لست إلها بل إنسان أنا، وأني على استعداد أن اعترف بأخطائي في التعليم إذا كان هناك من يقنعني بهذا الخطأ..."[1].

وبهذا التصريح يكون مارتن لوثر قد تحدى رجال الكنيسة كلهم، وهو على يقين تام أن جدالهم معه لن يزيد الأمور إلا سوء لأن صرامة لوثر ومنطقية أفكاره لم تكن لتجادل بما تتبناه الكنيسة، وبعد أن قرر المجلس الإمبراطوري إدانته وقتله لم يجرؤ أحد أن يمد يده إليه، فنقل لوثر في الأخير إلى قلعة فتربورج، أين قام بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية، –لغة الشعب– فأنجز ترجمة العهد الجديد في وقت قياسي، ثم قام بترجمة العهد القديم، وكان يريد من هذا أن يجعل الكتاب المقدس كشخص ألماني، أي أن يفهم عامة الشعب الألماني الكتاب المقدس فهما تاما، وبعد أن تأكد لوثر من أهمية تجديد حياة الكنيسة، راح يكتب شروح جديدة للكتاب المقدس، وكتب عن حرية المسيحي [2]، أين عبر فيه لوثر عن حياة الإنسان المسيحي وكيف يعيش حياته طبقا لتعاليم الدين وما يقره بذاته.

وعليه كان لإصلاح إنجيل لوثر آثارا عميقة في ثقافة الناس في ألمانيا في القرن السادس عشر، لأن حياة الكنيسة وحياة المجتمع كانت متشابكة للغاية، فإن الإصلاح في الكنيسة جلب معه تغيرا في الثقافة أيضا، كما أن نقد لوثر للنظام ألأسراري للكنيسة لم يغير فهم الأسرار فحسب، بل أنها نظاما قمعيا من الاستبداد في حياة عامة الناس[3].

المطلب الثاني: الحركات المتطرفة التي صاحبت إصلاحات لوثر

أ/ **المطالبين بإعادة التعميد :** انطلق أنصار الإصلاح الديني اللوثري من أن المرجعية العقدية لهم هي الإنجيل وحده، خاصة بعد ترجمته من طرف مارتن لوثر، وأعلن مجموعة من الأشخاص من بينهم " منستر" و" نيكولاس ستورك" والعالم ماركوس ستينبر" أنهم مؤهلون ليكونوا مفسرين للكتاب المقدس، من خلال اقتناعهم بأنه يوحى إليهم من روح القدس وهذا

[1] القس فايز فارس : **المرجع السابق**، ص36.
[2] **نفس المرجع** ص ،ص 38، 39.
[3] Rachad L. St archer et al **: Perspectives on the Missiological Legacy of martin Luther and the protestant reformation**, George fox University, faculty publications-collage of Christian studies, 2017, p5.

الأخيرة يرون بأنهم تأمرهم بأن يؤجلوا "العماد" إلى حين بلوغ سن الرشد وبأن القربان المقدس لا يكون له أثر إلا بالإيمان وهوا أمر لا ينتظر من الأطفال[1] .

فالتعميد عبارة عن تغطيس الطفل في الماء ثلاث مرات على اسم الثالوث المقدس (الأب، الابن، وروح القدس) ، وقالت هذه الطائفة أن تعميد الأطفال في سن مبكرة لا يتماشى مع تعاليم الإنجيل فطلبت عام 1525م بإعادة تعميدهم مرة أخرى حين يبلغون، وكانت حجتهم أن أركان التعميد الصحيحة لا تتوفر إلا في التعميد المتأخر، ومن هنا أطلق على هذه الطائفة اسم المطالبين بإعادة التعميد أو المعمودية أي أن هذه المسألة بدأت تثير الاختلال والتوازن، نظرا لتطرفها خاصة وأنه نتيجة لتعصبها ووقوفها عند هذا الرأي عرضت الإصلاح الديني اللوثري للخطر والتهديد ، وهذا ما جعل من لوثر الخروج كي يدعوا هؤلاء المتطرفين إلى التريث والتزام الهدوء[2]، كي لا تسبب هذه الاضطرابات حساسية تؤدي في الأخير إلى نتائج وخيمة خاصة وأن الكنيسة الكاثوليكية تسعى إلى مثل هذه الهفوات لتشن هجومها على هذا الإصلاح.

ب/ **حركة الفرسان:** أو ما يعرف ب "حرب الفرسان" كانت هي الحركة الثانية التي صاحبت الإصلاح الديني، وهؤلاء الفرسان هم عبارة عن إقطاعيين امتلك كل واحد فيهم مساحة صغيرة من أرض شيد فيها مقره ونسبوا السيادة كلها للإمبراطور ونظرا لتدهور لأوضاعهم في أواخر القرون الوسطى اتخذوا أفكار مارتن لوثر سندا لهم ، وأخذوا يخربون الكنائس ويستولون على أموالها وقاموا بطرد الرهبان من الكنيسة وكان على رأسهم (فون هتن) الذي أيد كلام لوثر حول الباب على انه رجل غريب ينهب أموال الشعب[3] ، ولقد ترقب الفرسان الفرصة للثورة على الأمراء والممولين ، خاصة وأنه في تلك الفترة كانت أراضي الكنيسة مباحة ويمكن الاستيلاء عليها، بالإضافة إلى موقف لوثر من التجارة الذي رأى فيه هؤلاء أنه يبرر ويعزز أفعالهم، فلقد اعتبر لوثر أن التجارة مهنة غير لائقة وأحتقر الأسلوب التجاري للأشخاص الذين يشترون السلع بأثمان رخيصة ثم يبيعونها للناس بأسعار مضاعفة فوصفهم بأنهم لصوص ظاهرون للعيان وكتب رسالة عن " التجارة والربا" عام 1524م واتهم

---

[1] سامي محمد الشيخ : مقال بعنوان حركة الإصلاح البروتستانتي (لوثر ، زونجلي ، وكالفن)، كتب ودراسات دنيا الوطن، متاح بتاريخ 2006/01/08، على الرابط التالي : /
com.alwatanvoice.pulpit://httpsarticles35520.html تاريخ الزيارة في يوم السبت 2020/02/22.
على الساعة التاسعة ليلا .

[2] صالح محمد السيد : مرجع سابق، ص 103، 104.

[3] جوزيف ممدوح: **مرجع سابق** ،ص11.

فيها الأمراء لمشاركتهم مع التجار في هذا العمل الغير أخلاقي [1]، غير أن هذه الحركة لم تدم طويلا وسرعان ما فشلت نظرا لعدم انتظامها وخضع الفرسان في الأخير إلى الأمراء

ج / **ثورة الفلاحين** : تعتبر ثورة الفلاحين من أكبر الثورات مقارنة بالثورات السابقة، نظرا لصداها الكبير، الذي عبرت فيه عن الغليان الكبير الذي كان يدور في أكثر من مكان في أوروبا، وكانت نتيجة للشدائد والظلم الذي تعرض له الفلاحون، فجعلهم يقومون باثنتي عشر ثورة، مما خلف اضطرابا شديدا، وازداد حدة بعد تحدي لوثر للبابا والكنيسة والامتراء، خاصة أنه اعتبر أن كل إنسان قسا وأعلن في الأخير حرية الإنسان المسيحي[2]

وقد عبر عن هذا ويل ديورانت قائلا " أتاحت الثورة الدينية للكادحين في الحقول ، إدجيولوجية تستهوي الأفئدة وتعبر عن مطالبهم بالحصول على نصيب أكبر من رخاء ألمانيا المتزايد، يضاف إلى هذا أن الشدائد التي كانت حفزت أهل الريف للقيام باثنتي عشر ثورة مازالت تثير إلى حد ما في ذهن الفلاح اضطرابا [....] وازداد شدة في الوقت الذي تحدى فيه لوثر الكنيسة واتهم الأمراء وحطم سدود النظام والرهبة... "[3]. وهذا ما نتج عنه ثورة عارمة في صفوف الفلاحين، فبعد ترجمة الكتاب المقدس من طرف لوثر وجد الفلاحون فيه ضمان إلهيا مقدسا لإلغاء الملكية الخاصة، وتوريث الفقراء الأرض، ونظرت إلى أن النظام الإقطاعي الاقتصادي كان يمنح كل الحقوق للملوك والأمراء، بما فيهم الكنيسة التي كانت تمتلك أراضي كمقاطعات، الأمر الذي عمق الكراهية بينهم وبين هؤلاء الفلاحين، ومن الأمثلة على ذلك كانت الثورة التي حدثت قي إنجلترا في أواخر العصور الوسطى، التي قام بها الفلاحون ،وكان سببها المباشر فرض ضريبة الرؤوس[4]، وهي تبين واقع الحالة الاجتماعية في ظل هيمنة النظام الإقطاعي،وما خلفه من تنافس الأمراء والملوك وما جلبته من أثار مدمرة ، ويعد ذلك أحد الأسباب الرئيسية التي غذت ثورة الفلاحين .

إلا أن مارتن لوثر طرأت على مواقفه تبديلات جذرية فمن داعيا إصلاحي ثم ثوري ثم إلى معارض لاستخدام العنف سبيلا لتحقيق مطالب الفلاحين، فلقد كتب في أفريل عام 1525م رسالة بعنوان " تنبيه إلى السلام" وفيه يعرض على الفلاحين الخضوع لأي قصاص ينص عليه الكتاب المقدس، وقد دافع فيه أيضا عن نفسه ضد التهم الموجهة ضده، على أنه

---

[1] سامي محمد الشيخ: **مقال بعنوان حركة الإصلاح البروتستانتي** (لوثر ، زونجلي ، وكالفن)، مرجع سابق.
[2] أشرف صالح محمد السيد: **مرجع سابق**، ص105.
[3] ول ديورانت: **قصة الحضارة**، ج3، مجلد 6، مرجع سابق، ص ص,75، 76.
[4] عامر عبد زيد كاظم الوائي: **مرجع سابق** ،ص ص 29، 30.

أشعل فتيل الحرب، فأنكر مسؤوليته عنها، كما أضاف أن إصلاحه مستمد من الكتاب المقدس، وتوجه إلى الأمراء والسادة الإقطاعيين، للاعتراف بعدالة تتسم بالرأفة، وكان لوثر يجزم بأن إمكانية تحقيق الإصلاح تأتي دون اللجوء إلى السلاح، إلا أن موقفه الأخير كان صدمة للفلاحين واعتبروه خائنا لهم حين أقر للأمراء بقتلهم كالكلاب المسعورة [1]، واستمرت ثورة الفلاحين أكثر وقد استطاعوا الاستيلاء وعلى الكثير من الكاتدرائيات وتحكيم التماثيل الدينية، إلا أن هذه الثورة في الأخير هلكت وراح ضحاياها العديد من الناس وعلى الرغم من إخفاقها إلا أنها اتسمت بأفكار بروتستانتية.

المبحث الثاني إجراءات الكنيسة ضد الإصلاح الديني (الإصلاح الديني المضاد)

[1] أشرف صالح محمد السيد: **مرجع سابق**،ص 106، 109.

المطلب الأول: سياسة الاحتواء (احتواء الإصلاح البروتستانتي)

إن الحديث عن الإصلاح الكاثوليكي يعني الحديث عن موقف الكنيسة من الإصلاح البروتستانتي و الآليات الدفاعية التي اعتمدت عليها ، خاصة أنها لم تستطع الوقوف في وجه الإصلاح البروتستانتي وتزايد انتشاره ، فقاد رجالها حركة إصلاحية عرفت باسم الإصلاح المضاد وتمثلت هذه الحركة في :

أ/ **مجمع ترنت (1545،1563)** وهو عبارة عن مجموعة المؤتمرات التي عقدتها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في ترنت بإيطاليا، وكان الهدف منها إيجاد طريقة يحدد بها الكاثوليك حياتهم وعبادتهم ، فدعا البابا بولس الثالث إلى انعقاد هذا المجمع والذي تم في خلال ثلاث فترات منفصلة، ففي الفترة الأولى أعلن هذا المجمع أن الإنجيل والتقاليد هما المصدران الصحيحان لإيمان الكاثوليك وبأن للكنيسة الحق الأوحد في تفسير الإنجيل، وفي الفترة الثانية تطرقوا إلى طبيعة الأسرار السبعة، والتأكيد على مبدأ التحويل، وهوا الاعتقاد بأن الخبز والخمر قد تم تحويلها إلى جسم المسيح ، وهما ما يسمى بالقربان المقدس، الذي رفضه لوثر، وأما في المرحلة الثالثة فقد حاول المجمع أن يبطل تعليمات البروتستانت فقام بعدة إصلاحات على مستوى الكنيسة الكاثوليكية، فحدد طبيعة الرحمة ، والإنقاذ من الخطيئة[1]، بالإضافة إلى ضرورة استخدام اللغة اللاتينية في الصلاة وتحريم زواج القساوسة وإنشاء المدارس اللازمة لتعليم رجال الدين، وقد أكد هذا المجمع على أن البابا خليفة المسيح وله السلطة العليا على الكنيسة، بالإضافة إلى هذا اصدر المجمع قرارات أخرى تتعلق بالعقيدة الكاثوليكية ، فلقد رفض عقيدة التبرير بالإيمان التي قال بها لوثر وكذلك قام برفض فكرة الاعتماد على الكتاب المقدس وحده وأكد على أن عقائد الكنيسة تستند إلى الكتاب المقدس وأصر على أن نسخة الكتاب المقدس اللاتينية هي وحدها المعتمدة[2]، وهكذا حدد المجمع التعاليم الكاثوليكية ومصادرها ووضع نظاما يقلل من أخطائها، إلا أنه لم ينقص من مكانة البابا، ولم ينهي الصراع القائم بين الكاثوليك والبروتستانت، وقد أعطت هذه المبادئ تأثيرا كبيرا في الكنيسة منذ ذلك الحين ومن هنا كان هدف هذا المجمع احتواء هذه الحركات الإصلاحية بعقد مصالحة بينها وبين الكنيسة الكاثوليكية مع الأخذ بعين الاعتبار الإصلاحات التي نادت بها ويمكن أن نقول هنا أنها سياسة سلمية اتبعتها الكنيسة

[1] أشرف صالح محمد السيد: **مرجع سابق** ،ص 119، 122.
[2] جلال يحيا: التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر (الفجر)، المكتب الجامعي الحديث، ط1، 2013،ص400.

الكاثوليكية للحفاظ على ما تبقى من مصداقيتها خاصة بعد وصف البابا أوربان الخامس الكنيسة قبل الإصلاح البروتستانتي قائلا " نحن نعترف بصراحة أن الله سمح باضطهاد الكنيسة بسبب آثام الناس، خاصة الأساقفة ورجال الدين ، ونحن نعرف جيدا أنه لسنوات طويلة كانت هناك أشياء تستدعي الاشمئزاز قد تجمعت حول الكرسي الأسقفي المقدس ، وأن أشياء مقدسة قد أسيئ استعمالها وأن الأوامر الإلهية قد انتهكت كل شيء قد تغير نحو الأسوأ"[1]. ومن هنا يتبين لنا الموقف المتغير الذي طرأ على رجال الكنيسة واعترافهم بالأخطاء التي تم ارتكابها، وبغض النظر على التغير الجذري الذي طرأ فإنه في حقيقة الأمر راجع لضغوطات المذهب البروتستانتي الذي انتشر في أنحاء أوروبا، على يد كل من جون كالفن في فرنسا وزونجلي في سويسرا اللذين ساهما بشكل كبير في انتشار هذا المذهب

ب/ منضمة اليسوعيين: تعتبر من أكبر وأهم الرهبانيات الفاعلة في الكنيسة الكاثوليكية وتأسست في القرن السادس عشر على يد القديس إغناطيوس دي لويولا، وكانت تهدف إلى مواجهة الأفكار اللوثرية والتأكيد على أن العقيدة المسيحية لا يمكن فهمها من دون وجود مؤسسة دينية تاريخية لها خبرة طويلة في فهم الدين وماهيته وكذلك محاربة فكرة الخلاص بالإيمان وحده _التي أقرها مارتن لوثر _دون الأعمال وإعادة التأكيد على مفهوم العقيدة [2] إذ تعتبر من بين أهم المناهل التبشيرية الكاثوليكية، فقد أخذت على عاتقها مهمة التبشير بالمسيحية فضلا عن نشرها في العالم الجديد بالإضافة إلى محاربتها لحركات الانشقاق عن الكنيسة، سواء بالدعوة السلمية أو بالقوة، وقد أدت جهودهم إلى حد كبير في موقف توسع البروتستانتية، كما أنهم شاركوا بقوة في توسيع الأمريكيتين وأسيا، وقدموا مجهودات ضخمة في المجال التبشيري الذي فاق بكثير البروتستانتية الكالفينية المتشددة ، واستطاعت بحنكتها وسياستها أن تعيد الكثير من المسحيين من البروتستانتية إلى الإيمان المسيحي الروماني[3]، ووجدت هذه المنظمة نفسها بحاجة إلى إعادة التأكيد على القانون الطبيعي باعتباره جزءا أو مكمل للقانون الإلهي ، وذلك القانون المستمد من الترتيب الذي وضعه توما الإكويني القائل بأن العالم محكوم بقوانين الإلهية والهدف منه هوا تبرير النظام السياسي الديني السائد طوال

---

[1] نقلا عن أشرف صالح محمد السيد: **مرجع سابق،** ص120.

[2] حسين عبد العزيز : **مقال بعنوان اليسوعية والإصلاح الديني المضاد،** متاح بتاريخ ، الثلاثاء 18 فيفري،2020، على الرابط التالي : .https:// m.arabi21.com/Story/1245780 تاريخ الزيارة السبت 2020/02/22. على الساعة التاسعة ليلا

[3] عامر زيد كاظم الوائي: **مرجع سابق،**ص 129، 131.

العصور الوسطى، لأن هذا القانون الذي أوجده الله في العقل الإنساني هدفه أن يعمل الإنسان وفق مقتضيات الطبيعة، ولما كان جزءا من القوانين الإلهية فهو يعبر عن إرادة الله ورغبته، وبالتالي لا يمكن الفصل بين إرادة الله وعقله[1] ، ومن هنا توصلت هذه المنظمة إلى أن الكنيسة الكاثوليكية مؤسسة دينية ذات سلطة قضائية، وان بنيتها مستمدة من روح القدس، كما أنها تمثل سلطة عليا واضعة للقوانين بإرادة مباشرة من البابا.

المطلب الثاني: محاكم التفتيش

بعد اندلاع حركة الإصلاح الديني واستمرار حركة النهضة في القرن السادس عشر أصبح العدو الأول للكنيسة الكاثوليكية هوا البروتستانتي و النهضوي وبمعنى آخر أصبح مارتن لوثر زعيم الإصلاح الديني البروتستانتي وإيراسيم زعيم عصر النهضة[2]، هما العدوان اللذين يشكلان خطرا على الكنيسة الكاثوليكية ولهذا لجأت الكنيسة في إصلاحها المضاد إلى محاكم التفتيش التي كانت مهمتها الأولى اكتشاف مخالفي الرأي ومعاقبتهم، وكان ذلك من خلال المحاكم التي كانت تقيمها لقمع ومكافحة الهرطقة ، وكان استخدام وسائل التعذيب والقتل والحرق في حق كل من يظن أنه من الهراطقة أمرا طبيعيا جدا، فوصلت أعداد ضحاياها إلى الآلاف من الناس[3]، وهذا يبين أن محاكم التفتيش كان هدفها إرجاع السيادة للكنيسة الكاثوليكية بإرجاع مكانتها، وذلك بالقضاء عل كل أنواع الإصلاح وخاصة البروتستانتي، ففي سنة 1521، كانت السلطات تراقب كل من يحاول نشر تعاليم لوثر، ونشر أفكاره في إسبانيا ، خاصة بعد حملة التبرعات التي قام بها مجموعة من الإسبانيين الذين لجؤو إلى الأراضي المنخفضة وقاموا بطابعة أعمال لوثر وإرسالها إلى شبه الجزيرة بلنسية، وقد تمت إدانة تاجر ألماني ، وهوا ميسر بلاي ، بسبب جلبه ذلك الأدب المشبوه، وأصبحت الكتابات والمكتبات مراقبة عن كثب [4].

كل هذه الطرق التي استخدمتها الكنيسة الكاثوليكية لمحاربة المصلحين المتأثرين بأفكار مارتن لوثر جعلت العالم الأوروبي يدخل في صراعات دامية راح ضحيتها الكثير من الناس وبدءا من تلك اللحظة انقسم العالم الكاثوليكي إلى قسمين، قسم كاثوليكي، وقسم بروتستانتي

---

[1] حسن عبد العزيز : **(مقال) مرجع سابق**

[2] أحمد محمد عطيات: **مرجع سابق**، ص155.

[3] أشرف صالح محمد السيد: **مرجع سابق** ص ص 127، 128.

[4] جوزيف بيريز: **التاريخ الوجيز محاكم التفتيش بإسبانيا**، ترجمة، مصطفى أمادي ، زاد المعرفة ،ط1، 2012، أبو ظبي، الإمارات،ص ص 82، 83.

ودارت بينهما حروب ومعارك كبيرة على مدار مائتي عام، والتي عرفت باسم حروب الأديان[1] وعلى الرغم من الدور الذي لعبته محاكم التفتيش في القضاء على البروتستانتية، إلا أن نجاحها لم يكن جديرا بالذكر، خاصة وأن طريقتها القمعية والوحشية كانت تثبت أنها لا تمد بصلة للدين أساسا، والملاحظ هنا أن الدور الكبير في حركة الإصلاح المضاد ترجع إلي جمعية الجو زيت أو كما عرفت بمنضمة اليسوعيين ومجمع ترنت ، نظرا لحدتها ودهائها وأفكارها التي صاحبتها نوع من الجدية والدهاء والعودة إلى التعاليم القديمة.

[1] أحمد محمد عطيات: **مرجع سابق**، ص 156.

المبحث الثالث: نتائج حركة الإصلاح الديني اللوثري

المطلب الأول : على الصعيد الديني

أسفرت حركة الإصلاح الديني في أوروبا خاصة التي قادها مارتن لوثر إلى العديد من النتائج لاسيما في الجانب المتعلق بالدين فبعد أن كانت الكنيسة هي المسيطرة على مختلف مجلات الحياة، إلا أن المفاهيم قد تحولت على الصعيد الديني، فقدت انتهت وحدة العالم الأوروبي الغربي دينيا لتشكل بذلك خريطة جديدة قائمة على دول سادت فيها اللوثرية مثل ألمانيا واسكندنافيا، وبقيت الكاثوليكية في فرنسا وإسبانيا[1]، أما النقطة الثانية التي نتجت عن الإصلاح الديني والتي كانت النقلة النوعية في تفكير الإنسان الأوروبي أن الوساطة بين الإنسان والله التي كانت تتم عن طريق رجال الدين قد اختفت تدريجيا، وأصبح الإنسان المسيحي يدرك تماما أن باستطاعته التواصل مع الله مباشرة دون أية واسطة وهذا ما عبر عنه برتراند راسل قائلا "... ومنذ ذلك الحين ظلت المسيحية الغربية مقسمة على نفسها ،وتدين المذاهب الإصلاحية [....] بفكرة كهانة الجميع، أي أن كل إنسان على اتصال مباشر بالله وليس المسيح في حاجة إلى قسس وسطاء" [2]. وهذا يعني أم المصلحين قاموا بتهذيب الديانة المسيحية بحيث لم يعد الكتاب المقدس حكرا على رجال الدين واستطاعوا كسر المنظومة الدينية السائدة في العصور الوسطى، وتحرير المجتمع من التسليم القطعي بالمرجعية البابوية والقضاء على الفساد وإرجاع الديانة المسيحية إلى قداستها، غير أم هذه النتائج لم تكن بتلك الإيجابية التي لا تكسيها العيوب ، فقد كان أيضا من نتائج هذه الحركة الدينية، حروب طاحنة خاصة حرب الثلاثين عام تلك الحرب التي اندلعت في النصف الأول من القرن السابع عشر من سنة (1618، 1648م) والتي كان وازعها الأساسي ديني في الظاهر وذلك أن معظم الاتجاهات التي انبثقت عن اللوثرية، كانت متفقة على عدائها للكنيسة الكاثوليكية، وعلى الرغم من أنها متباينة في أهدافها، لذلك تعد هذه الحرب نتيجة حتمية لحركة الإصلاح الديني الذي شمل معظم الدول الأوروبية، ويعد فشل صلح أوغسبرغ عام 1555م الذي أنها الحرب في المقاطعات الألمانية السبب في ذلك ، إذ لم يتمكن من التوفيق مطالب الكاثوليك والبروتستانت من جهة، وأتباع كالفن ولوثر من جهة أخرى [3]،

---

[1] الباحثون السوريون: **مقال بعنوان حركة الإصلاح الديني**، جزء الثالث، حركات عصر النهضة الفلسفية .

[2] برتراند راسل: **حكمة الغرب**، ج2 ، تر، فؤاد زكريا، عالم المعرفة، الكويت،1983،ص17.

[3] عمار شاكر الدوري : **مقال بعنوان حرب الثلاثين عام (1618، 1648م) قراءة في الأسباب والنتائج** ،مجلد 10,العدد 38، 2014، جامعة تكريت، قسم التاريخ .

وإلى جانب الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت لم ينصف هذا الصلح أتباع مذهب كالفن بألمانيا، فقد اقتصرت شروط هذا الصلح على اللوثرين متجاهلة الكلفنيين، مما ترتب علبه الحقد المتبادل بين الطرفين واختلفوا في تحديد مبادئ البروتستانتية،وقد مرت هذه الحرب بأربعة أدوار:

الدور البوهيمي (1635، 1684م) والدور الدنمركي (1625، 1629م) والدور السويدي (1830، 1635م) والدور الفرنسي السويدي (1535، 1648م) إلا أنه في الأخير تم التوصل إلى الصلح الذي عرف باسم صلح واستفاليا سنة 1648،[1] الذي تم فيه الإقرار بالمذهب البروتستانتي كعقيدة رسمية إلى جانب المذهب الكاثوليكي، والاعتراف بمذهب كالفن والتمتع بالحرية الدينية في جميع الإمبراطورية.

المطلب الثاني: على الصعيد السياسي

لقد لعبت حركة الإصلاح الديني دورا كبيرا في المجال السياسي فعلى الرغم من طابعها الديني إلا أن النتائج التي أسفرت عنها في الأخير تولدت عنها نظرة أخرى للحياة ، فقد خرجت من هذه الثورة الدينية ثورة خفية استطاعت تحرير السياسة من قبضة رجال الدين بل أن ضرورة كسب السلطة والمحافظة عليها، أصبحت مبنية على تفوق الحاكم وشطارته ودفاعه عن موقعه فقد أصبح قادرا أن يخضع الأديان لحكمه، ويستفيد من مؤازرة الإله له، وعلى الرغم من بقاء الصورة

الدينية في الهيكلة الخارجية لأي نظام، إلا أنه لم يعد يشكل عائقا كبيرا، فقد أصبحت وظيفة الحاكم التي تشغله هوا الاهتمام بنوع العلاقة التي تجمع الأفراد فيما بينهم ، وداخل الدولة ثم علاقة هذه الأخيرة بأنظمة الحكم الخارجية[2] ، بالإضافة إلى ذلك أصبحت حرية الرأي والنقد ممكنة بعض الشيئ وأصبح التصريح بالأفكار ممكنا إلى حد ما ، فقد نشطت الكتابات السياسية المختلفة، فنجد على سبيل المثال لا الحصر جان بودان (1530،1596م)، من أشهر الكتاب الذين كتبوا في السياسة، خاصة في تلك المرحلة التي كانت تعيشها أوروبا من صراعات دينية، فقد فضل بودان نظام الحكم الملكي القوي، غير أنه ينفي عليه المطلقية

---

[1] زين العابدين شمس الدين: **مرجع سابق**، ص 166، 174.

[2] سمية ربطي: **دلالة العلمانية في التقليد الفلسفي السياسي**، مجلة فكر الثقافية، متاح بتاريخ، 2020/02/01 على الرابط التالي:
https:// com.fikrmag.www/article_detail.php? Article_ id=1045 .، تاريخ الزيارة 2020/02/29، على الساعة 01:40.

فهو مقيد بمعطيات القوانين الطبيعية و الأخلاق على حد تعبيره ، كما يرى أنه إلى جانب الحاكم يمكن قيام مؤسسات تلعب دور الوسيط بين الدولة والشعب مثل مجلس الشيوخ وطبقات العموم، كما قارن أيضا بين عدة أنواع من الحكم، ومن بينها النظام الشعبي ، فقد رأى أن من مزاياه تحقيق المساواة بين الناس ويسمح بتأمين تكافئ الفرص وفي نفس الوقت يشير إلى أن هذه المزايا في حقيقتها نظرية ظاهرية فقط [1]، ويعتبر كتاب "الجمهورية" الذي نشره بودان سنة 1576م من بين أعظم الكتب السياسية آنذاك، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه أخرج فكرة السلطة ذات السيادة من سجن اللاهوت، ويمكن وصف الجمهورية بأنه دفاع عن السياسة ضد الأحزاب فقد شكل هذا الكتاب المنهل الرئيسي لمجموعة من المفكرين المعتدلين يعرفون باسم السياسيين الذين رأوا في السلطة الملكية عماد السلم والنظام واعتبروا أن الملك مركزا للوحدة الوطنية[2] ، خاصة وأنهم يواجهون في تلك الفترة أعظم حقيقة سياسية حدثت ألا وهي انقسام الكنيسة. ويدل هذا على أن حرية الفكر والنقد قد وجدت طريقا للظهور والممارسة الفعلية دون أي تردد و أصبح للفرد الحق في التعبير عم الواقع المعاش، والتدخل في الشؤون السياسية.

بل أن الأكثر من هذا كله أنه أصبح بمقدور المفكرين وأصحاب الرأي توجيه الملوك من خلال كتاباتهم السياسية فنجد نيكولا ميكافيلي (1469، 1527م) الذي ألف كتاب الأمير هذا الأخير الذي تطرق فيه إلى العديد من المسائل المتعلقة بشخصية القائد الذي باستطاعته التحكم في السلطة وثباتها، فلقد تحدث في هذا الكتاب على ضرورة رضا الشعب عن الحاكم، نظرا لما تحمله إرادة الشعب في تغيير مجرى الحياة وهذا ما حدث بالفعل فعلى الرغم من العصور الوسطى الطويلة التي ساد فيها الاضطهاد والحكم الجائر إلا أن إرادة الشعوب استطاعت في الأخير أن تثير ثورة دموية ما كانت لتتوقف إلا بنيل الحرية " ولهذا يجب على أي أمير يرفعه الشعب وينصبه عليه أن يحافظ على محبته له مهما كلفه ذلك، وإن كان سيجده أمرا سهلا، لأن الشعب لا يريد سوى العدل، أما من وصل إلى

---

[1] ديما أحمد صالح : **مقال بعنوان أثر حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في عملية التحول السياسي**، الحوار المتمدن متاح بتاريخ 2008/07/27 ،على الرابط http://www.m.ahewar.org/s.as?aid=142174&r=0

[2] جورج سباين : تطور الفكر السياسي ، ج الثالث، تر، أحمد سويلم العمري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ص،112،111.

منصب الإمارة بمساعدة النبلاء وضد إرادة الشعب فعليه أولا أن يسعى لنيل رضا الشعب عنه" [1].

وعلى أية حال فإن حركة الإصلاح الديني التي زامنتها حركة النهضة الإيطالية ساهمت بشكل كبير في تغير المسار التاريخي للإنسان، وكونت رؤية جديدة استطاعت في الأخير التخلص من اللاهوت ومفهومه التقليدي القديم، وأصبح الإنسان يدرك في نهاية المطاف أن بمقدوره العيش في هذا العالم بكل حرية دون قيود، وأن باستطاعته البحث في كل ما يتعلق بالحياة الإنسانية، والتوصل في الأخير إلى حياة مختلفة تماما عن الحياة في ضل الكنيسة وتعتبر تلك الفترة نقطة البداية في الدخول إلى عصر الأنوار.

[1] نيكولا ميكافيلي: **الأمير**، تر، أكرم مؤمن، المكتبة العربية ، القاهرة ، مصر، ص 58.

الفصل الثالث:

أزمة الوعي الأوروبي مع الأصولية المسيحية وظهور التنوير

تمهيد

لقد عانى المجتمع الأوروبي جراء الصراعات والحروب باسم الدين ما لا يكاد التاريخ أن يستوعب كل تفاصيلها، فلقد كان الدين خاصة في مرحلة ما قبل عصر التنوير بمثابة فتيل الحرب الذي كلما تجرأ أحد عن الخوض فيه إلا ونتج عن ذلك حروب دامية يحرق فيها الإنسان ويضطهد ويعذب وربما كان الموت هوا أهون أنواع الاضطهاد التي يتلقاها الإنسان، غير أن الحرية والأمل في الحياة الكريمة والهادئة كانت مطمح كل الناس فبالرغم من كل تلك الحروب والصراعات إلا أن البحث عن السلام والعيش الكريم كان ينتقل من جيل لآخر ولقد شكر عصر التنوير ذلك الجيل الذي أرسى مفاهيم الحياة الجديدة التي طالما حلم بها الإنسان الأوروبي طوال فترة العصور الوسطى، وعليه كانت الدعوة إلى الحرية الإنسانية دعوة مشتركة بين فلاسفة عصر الأنوار غير أنها تباينت من حيث الأسلوب والصياغة ، ويعد الفيلسوف الإنجليزي جون لوك والفرنسي فولتير والألماني إمانويل كانط أحد أبرز أقطاب ذلك العصر الذي كان همهم إرساء مفهوما جديدا للدين مبني على حرية الإنسان وعلى التسامح هذا الأخير الذي شكل منعطفا حاسما في تاريخ المجتمع والقارة الأوروبية بشكل عام.

المبحث الأول: بوادر التنوير الفلسفي

المطلب الأول: مفهوم التنوير من المنظور الفلسفي

يعتبر التنوير من بين أهم الموضوعات التي حضت بالدراسة على نطاق واسع نظرا لأهميتها الكبرى في تشكل أسس الحداثة الغربية، هذه الأخيرة التي ساهمت في تشكل رؤية جديدة مناقضة تمام لرؤى العصور الوسطى، فالتنوير أو فلسفة الأنوار هي تلك الحركة الفلسفية التي ظهرت في القرن الثامن عشر، والتي امتازت بفكرة التقدم، وبنبذ وتحدي السلطة والتقليد ، والإيمان بالعقل والدعوة إلى التفكير والحكم الذاتي على الأمور[1]، وعليه فإن حركة التنوير، هي حركة فلسفية كانت بدايتها في أوروبا بعد المذهب الإنساني وحركة النهضة الأوروبية، وامتازت بفكرة التقدم والتشكيك في التقاليد، ودعت إلى التفكير والإيمان بالعقل، والحكم على الأشياء على أساس التجربة [2]، ومن هذا التعريف يمكن أن نفهم أن فلسفة الأنوار بأنها حركة فكرية ثائرة على تقليد العصور الوسطى وداعية إلى استخدام العقل الإنساني في التحري عن صدق المعارف الإنسانية بمختلف أنواعها خاصة أن العصر الذي سبقها امتاز بكونه عصر التعصب الدغمائي وعصر سيطرة الدين على مختلف حياة الإنسان ونظرا للآثار التي خلفها ذلك العصر يمكن فهم التنوير على أنه بمثابة ثورة عظمى اتسمت بالدعوة إلى تحرير العقل، ولكي نفهم التنوير من الناحية الفلسفية فإن الإجابة الأمثل في نظر مختلف الباحثين والفلاسفة هي تلك الرسالة التي أجاب فيها الفيلسوف الألماني إمانويل كانط(1724،1804) المعنونة ب" ما هو التنوير" حين رد على القسيس جوهان فريدريك زولنر قائلا " التنوير هو تحرر الفرد من الوصاية التي جلبها على نفسه، والوصايا هي عدم قدرة الفرد على استخدام فهمه الخاص دون توجيه من الآخر، ليس القصور العقلي سببا في جلب الوصاية، بل السبب انعدام الإقدام والشجاعة على استخدامه دون توجيه من الآخر"[3] ، يتبين لنا من خلال هذا المقتطف من مقالة كانط أن التنوير هو دعوة إلى تحرير الإنسان من قيوده التي فرضها على نفسه بسبب خوفه وعدم شجاعته ، ومن هنا كان شعار هذا العصر هوا تجرأ على الفهم.

---

[1] أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر، خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط2،2001، بيروت، باريس، ص،759.

[2] بشير بوغازي: **فلسفة عصر الأنوار**، مكتبة المجتمع العربي، ط 1، عمان ، الأردن ،2016، ص ص،15،16.

[3] إمانويل كانط: **مقالة ما هو التنوير**، تر، حسين إسماعيل، مدونة الإحياء الجديدة، NeoReivalism.com

كما يذهب الفيلسوف الفرنسي البلغاري تزفيان تودوروف (1939،2017م) في كتابه روح الأنوار إلى أن مشروع الأنوار قام في الأصل على مجموعة من الأفكار نمت وتطورت وهي الاستقلالية والغائية الإنسانية لأفعالنا الكونية، فالسمة الأولى تسعى إلى جعلنا نفضل بين ما نختاره بأنفسنا على ما تفرضه علينا أي سلطة خارجة على إرادتنا وبالتالي يكون هنا مشروع التنوير بمثابة اختيار ذو وجهين الأول نقدي يهدف إلى التحرر وعدم الخضوع لأي وصاية مفروضة مهما كانت، والثاني تكويني يهدف إلى تكوين الإنسان وفق قوانين وقواعد وقيم مرغوب فيها، ويكون هذا المشروع التنويري أساسه التحرر والاستقلالية [1]، وعلى هذا الأساس كان التنوير الفلسفي يميل إلى جعل الإنسان يتخلص من ذلك التفكير الديني الذي جعل منه عاجزا كل العجز على بلورة رؤية جديدة تخدم مصلحته ككائن حر قادر على تكوين حياته بشكل أفضل.

وعلى هذا الأساس أفرز عصر التنوير عالما دون أوهام، عالما خاضعا في كل مجالاته مفاهيم وسلوكيات واعدة فالوصاية التي كان يعيش تحتها وطأتها الإنسان كانت وصاية دينية، وبالتالي كانت أغلب الانتقادات موجهة إلى الدين بالذات قصد فتح إمكانيات للبشرية حتى تحدد مصيرها بيدها، وهي في حقيقة الأمر كانت انتقادات محدودة ومضبوطة والهدف منها هوا أن لا يظل الإنسان خاضعا لقواعد تستمد مشروعيتها فقط من تقاليد معينة[2]، وبالتالي لا تكون سلطة الماضي هي التي توجه حياة الإنسان خاصة بعد تلك الحروب الدينية إلي راح ضحيتها العديد من الناس الأبرياء وترك هذه المهمة إلى الإنسان المستقبلي الذي يحلم أن يؤسس حياة جديدة وفق مفاهيم تخلو من كل تعصب ديني، وعليه كان عصر الأنوار نقدا موجها إلى بنية المجتمع لا إلى الدين في حد ذاته.

المطلب الثاني: الروح ا لعامة لعصر التنوير

قبل الكلام على عصر التنوير ذلك العصر الذي انقلبت فيه كل المفاهيم اللاهوتية وتغيرت فيه نظرة الإنسان للعالم وأصبحت الحياة فيه تعني الاستقلالية والحرية في التفكير والنقد، كان من الواجب أن نتلكم في البداية عن الروح العامة التي سبقت هذا العصر والذي مهدت له الظهور وأقصد هنا تلك الروح التي جسدتها النهضة الأوروبية.

---

[1] تزفيان تودوروف: **روح الأنوار**، تر، حافظ قويعة، دار محمد علي، ط1 صفاقس، تونس،2007، ص10.
[2] نفس المرجع، ص 11.

يطلق المؤرخون على القرن الخامس عشر والسادس عشر اسم عصر النهضة "Renaissance " أو عصر الإحياء ومعناه اللفظي الميلاد من جديد، ففي تلك الفترة نشطت حركة إحياء العلوم القديمة واستيقظ العقل البشري من سباته نسبيا في مختلف الميادين وكانت أوروبا هي منبع تلك الحركات وسار تيار الفكر منذ ذلك الحين نحو الاستنارة في مخلف أنحاء العالم الأوروبي[1] ، ولنكون أكثر وضوحا ودقة فإن عصر النهضة من الناحية التاريخية والفكرية يعود إلى إيطاليا مبدئيا أين قامت لأول مرة حركة إحياء العلوم القديمة.

لقد كان للقرنين الخامس والسادس عشر تأثيرا واسعا في تكوين العقل الحديث فقد ساهمت النزعة الإنسانية بشكل كبير في إحياء التراث القديم ومن هذا المنطلق كانوا يسمون حركتهم بالإحياء الذي قصدوا بها إحياء التراث القديم ، وقد ساهمت حركتهم الفكرية في تمجيد القيم الإنسانية وإعلان حرية الإنسان، ومن هنا أطلق على مؤسسي هذه الحركة لقب الإنسانويين أو الإنسانيين، ولقد لعب الإنسانويين الدور الرئيسي في حضارة عصر النهضة فلقد كان موضوع الإنسان والدعوة إلى رفع قيمة الفرد من الأولويات الفكرية لهذه النزعة ، ولقد كان الهدف من وراء هذا الاهتمام بالإنسان هو تحريره من اللاهوت الكلاسيكي ، والانتقال تدريجيا من الإنسان المسيحي ككائن روحي منغلق عن العالم إلى إنسان متحرر متطور سمته الأساسية أنه كائن ذو رغبة ودوافع غريزية[2]، ومن هنا كان الإنسان هوا محور الحركة الإنسانية فلقد لعبت هذه الحركة الفكرية دورا فعالا في تنمية الوعي لدى الفرد المسيحي وإعطائه صورة على قدرة الإنسان في تجاوز سلطة الكنيسة وبالتالي قدرته على الحياة دون الخوف من غضب الرب الذي كانت تعده بهم الكنيسة الكاثوليكية، وعليه سادت الفكرة القائلة بأنه لا يجوز الاعتقاد في شيء قبل فهمه، ومن هذا المنطلق بدأت العقول تتحرر ونمت الروح النقدية واتسعت دائرة المعارف الإنسانية بعيدة عن قيود الكنيسة وتشدد رجال الدين، بالإضافة إلى نشر الكتب المطبوعة –خاصة بعد اختراع الطباعة–أدرك الناس مدى التناقض بين ما كانت تلقنه الجامعات في العصور الوسطى والحقائق العلمية الجديدة[3]

---

[1] القس فايز فارس " مرجع سابق ، ص14.

[2] فارح مسرحي: **الحداثة في فكر محمد أركون مقاربة أولية**، ناشرون، الدار العربية للعلوم، الجزائر العاصمة، ط1 2006، ص، 27،28.

[3] عبد القادر تومي: **أعلام الفلسفة الغربية في العصر الحديث**، مؤسسة كنوز الحكمة، ط1،2011 ، الجزائر، ص5،7.

وهكذا ازدادت معرفة الإنسان واستطاع بذلك أن يتجاوز سلطان الكنيسة المقدس الذي كان مسيطرا على الفكر طيلة القرون الوسطى، وإذا كان فرانسيسكو بيترارك (1304،1374م) المؤسس الفعلي للمذهب الإنساني الذي أعرض عن نمط التعليم الجامعي الجامد السائد في العصور الوسطى ، وقاده هذا الاعتراض إلى اكتشاف الفلسفة والأدب القديمين وإحيائه للعلوم القديمة، فإن ديديه إراسموس (1467،1536م) الهولندي تنسب إليه جهود الجمع بين الفلسفة المسيحية والإنسانية القديمة، الذي رأى أن الحكمة الإنسانية لا تبرز إلا بالانفتاح عن مختلف المناهل الفكرية ومن هنا يفرض هذا الانفتاح التسامح في المجال الديني وهذا ما يتماشى مع مسيحية إنسانية عالمة ومؤمنة بإنسان عالمي[1]، فلقد رأى إراسموس أن الدراسات الإنسانية وسيلة لإصلاح المجتمع الأوروبي وتخليصه من الشرور والفضائح الخلقية ومن الجهالة المتفشية آنذاك ، ومن الناحية الدينية فقد برز من خلال دراسته للإنجيل ونشر النسخة الإغريقية للإنجيل وأرفقها بترجمة مبسطة ، وكان يريد من وراء هذا عودة الناس في أوروبا إلى المسيحية الأولى في بساطتها ونقائها، وقد اختلف إراسموس عن الإنسانيين الإيطاليين ، في أن كتاباته لم تظهر أي نزعة وثنية بل كان مسيحيا متدينا مستنيرا اتسمت كتاباته بالطابع الأوروبي العام والبعد عن العنف، وقد كانت رغبته قوية في نشر الدراسات الإنسانية وتثقيف الناس وكان يرى أن التعليم أرقى مهنة [2]، أي أن ثقافة عصر النهضة اتسمت بالاهتمام بالإنسان وتثقيفه في جميع جوانب الحياة.

وعلى الرغم من تأثر إراسموس في العديد من أفكاره بحركة الإصلاح الديني، إلا أنه في الأخير ابتعد عن هذه الحركة وقد تجلى بشكل خاص في النقاش الذي أثير مع مارتن لوثر حول مسألة حرية الإرادة ، فإذا كان لوثر يعتبر أن حرية الإرادة لا تنحصر غايتها في إيجاد تطابق بين الإرادة الإنسانية والنزعة الإلهية، واعتبرها بمثابة هبة من الله تسعى إلى كشف عصيان الإنسان وفي الإيحاء له بفساده، وبالتالي إدراكه أن خلاصه لا يمكن أن يتم على مستوى إرادته الخاصة وإنما على مستوى النعمة الربانية[3]، أي أن خلاصه مرهون برحمة الله ونفس المؤمن الطاهرة، فإن إراسموس يرى بأن الكتاب المقدس حينما يتكلم عن

---

[1] بيتر كونزمان وآخرون: **أطلس الفلسفة**، تر، جورج كتورة، المكتبة الشرقية، ط2، 2007، بيروت ، لبنان، ص97.

[2] صالح أحمد هريدى: **معالم تاريخ أوروبا الحديث من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية**، مكتبة بستان المعرفة، 2009، الإسكندرية، ص ص،55،56.

[3] قاسم جمعة راشد، خضو دهو قاسم: **مرجع سابق**، ص323.

الأعمال الطيبة والسيئة وعن المكافأة، فإن هذه الأخيرة هي بمثابة شيء يدين به الرب للناس، لأنه عهد بإرادته إليهم، إذا كانوا مؤمنين بوعده، وبالتالي فالإيمان هو نفسه عمل وتساهم حرية الإرادة فيه بشكل كبير[1]، ومن هنا يتجلى لنا من موقف إراسموس المعاكس لموقف لوثر حول مسألة حرية الإرادة والذي يرى من خلاله أن مسألة الإيمان مسؤولية فردية تعود إلى ضمير الإنسان واعتبار الإيمان في حد ذاته عملا مرتبطا في حقيقته بحرية الإرادة الإنسانية

أما في ألمانيا فقد امتازت النهضة بطابعها الديني والعلمي، على العكس من إيطاليا التي اقتصرت الدراسات فيها على الطابع الوثني، ويعود الفضل في الاهتمام بهذه الدراسات الجديدة في ألمانيا إلى جوهان روخلين(1455،1522م)، الذي درس الأدبين اليوناني واللاتيني، وفي واقع الأمر يعتبر هذا الاتجاه المميز للحركة الإنسانية في ألمانيا فقد أخضع الإنسانويون هذه الدراسات لخدمة الكتاب المقدس، فكان الارتباط قويا بين الحركة الإنسانية والإصلاح الديني، خاصة أن القاسم المشترك بينهما هوا الرجوع إلى الدراسات القديمة فإذا كانت الحركة الإنسانية عادت إلى أحياء الدراسات القديمة من أجل تحرير الإنسان وتثقيفه فإن حركة الإصلاح الديني البروتستانتي هي الأخرى أعادت إحياء دراسات الكتاب المقدس في حقبة العصور الوسطى الأولى والرجوع إلى أمهات الكتب اليونانية لمحاربة البدع والخرافات[2]، ومن هذا المنطلق ساهم عصر النهضة بشكل كبير في إعادة بث الوعي إلى الإنسان المسيحي الذي كان شديد التأثر بتلك التعاليم القديمة ومع بروز التيار الإصلاحي البروتستانتي كرد فعل على الأصولية المسيحية استطاع الإنسان أن يستعيد حريته المسلوبة على الأقل ككائن مفكر يستطيع أن يسير حياته وفق ما تمليه عليه الظروف المعاشة .

المطلب الثالث: بدايات التنوير الأولى (العقلانية الديكارتية وتجريبية بيكون)

لم يقتصر عصر التنوير على إحياء الدراسات القديمة وإعادة بث روحها فقط، بل برز مفهوم جديد للرؤية الإنسانية للحياة في مختلف مجالاتها الثقافية الاجتماعية السياسية وحتى العلمية فظهر نمط جديد من التفكير ساهم بدور فعال وكبير جدا في انبثاق عصر

[1] ديسدريوس إيراسموس: **حرية الإرادة**، تر، أحمد لطفي، صفصافة للنشر والتوزيع، ط1،2014، الجيزة، مصر، ص ص،38،39.

[2] صالح أحمد هريدى: **مرجع سابق**، ص ص56،57.

الأنوار وأعني هنا ظهور العقلانية الديكارتية والتجريبية مع فرانسيس بيكون فلقد لعب هذين الفيلسوفين الدور الأكثر بروزا في تحرر الإنسان.

أولا: روينه ديكارت (1650،1596م)

الفيلسوف الفرنسي الملقب بأب الفلسفة الحديثة، يعتبر ديكارت صاحب الكوجيتوا " أنا أفكر إذن أنا موجود" أعظم شخصية بارزة في الفكر الأوروبي ويعتبر مؤسس العقلانية التي من خلالها استطاع الإنسان أن يولي اهتماما كبيرا للعقل ونتائجه فلقد كانت أوروبا تعيش فترة من اليقين القطعي الذي لا يقبل المناقشة، فظهر ديكارت ليعيد للعقل احترامه وللعلم أسبابه، فاصطنع منهجا تأمليا حدسيا استنباطيا مكنه في الأخير من أن يرسي مفهوما جديدا للمعرفة[1]، فعلى الرغم من الصرامة والتعقيد في ذلك العصر الذي ساد فيه التعصب الديني خاصة فيما يتعلق بالحقائق بمختلف أنواعها إلا أنه تمكن من إرساء منهج –أو ما يعرف ب "الشك المنهجي"– كان بمثابة الوسيلة القوية التي ساهمت في تحرر الوعي ويعتبر كتابه " مقال في المنهج" الخطوة الأولى التي أعطى من خلالها صورة عقلانية وتصورا جديدا لإمكانية المعرفة العقلية وصدقها انطلاقا من البداهة التي تعتبر الخطوة الأولى في منهجه لذلك نجده يقول في وصفه للخطأ الذي وقع فيه سابقيه من فلاسفة اليونان "غير أني لا أحسب أن أحدا لم يبين أن اليقين ليس في الحواس ، بل في الذهن وحده حين يكون لديه مدركات بديهية"[2] ومن هنا يتبين لنا أن ديكارت قد اعتبر أن مبدأ البداهة العقلي يمكن الإنسان من إدراك الحقائق ورفض المعرفة الحسية التي يراها تمدنا بإدراك ومعارف خاطئة في الكثير من الأحيان لذا كان من الواجب أخذ الحيطة منها ، غير أن ديكارت ولكي يكون أكثر صرامة ودقة في المعرفة العقلية ، يذهب كذلك إلى أنه من واجب الإنسان معرفة كيفية استخدام العقل فليس يكفي أن يكون الإنسان سليم العقل فحسب بل لابد أيضا من أن يكون استعماله للعقل سليما أيضا[3]، وعليه فديكارت أراد من خلال هذا المنهج غربلة كل الأفكار وتصفيتها من الأفكار الخاطئة والخرافية لكي يبقى ما هو يقيني، فالشك عنده شك بناء يهدف إلى الوصول للحقيقة، وإذا ما أردنا أن نعطي مفهوما للمنهج عند ديكارت فهوا

---

[1] عبد القادر تومي: **مرجع سابق**، ص64.

[2] رنيه ديكارت: **مقال عن المنهج**، تر،محمود محمد الخضيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، مصر، 1985، ص25.

[3] جنفيان روديس لويس: ديكارت والعقلانية، تر، عبده الحلو، منشورات العويدات، ط4،1988، بيروت، ص17.

مجموعة من القواعد اليقينية البسيطة الذي يجعل من يراعي إليها بدقة لا يرى بأنها كاذبة ، بل تجعله يتوصل إلى فهم صحيح لكل الأشياء بدون جهد تلك التي لا تتجاوز قدرته[1]، أي أن ديكارت أراد أن يجعل من الإنسان يستخدم عقله في إطار المعارف المعقولة التي لا تتجاوز قدرته، وعليه جعل ديكارت التفكير أساسا لكل إنسان يملك عقلا ، فعندما عكف ديكارت على أن يقيما منهجا سويا للتفكير السليم، لم يكن يهدف فقط للبحث عن تلك المشاكل المتعلقة بالمسائل الميتافيزيقية فحسب، بل تجاوز الميتافيزيقا إلى العلوم حيث سعى على أن يكون البحث عن موضوع الحقيقة في العلوم انطلاقا من هذا المنهج الذي يعتبر أداة لإحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم، وانطلق من أربع قواعد يسلم بعضها إلى بعض، وتؤدي كلها إلى أية حقيقة علمية، غير أن القاعدة الأولى قاعدة البداهة والوضوح تعتبر الرئيسية خاصة إذا تعلق الأمر في الأمور الميتافيزيقية[2]، هذه الأخيرة التي كان من الواجب أن يكون الإنسان منتبها إلى حقيقتها وصدقها نظرا لغموضها وصعوبة إدراكها عقليا فعمل ديكارت على أن تكون القاعدة الأولى من قواعد منهجه العقلي أن تكون دقيقة وفي نفس الوقت تكون بوصلة الأمان للعقل الإنساني لكي لا يقبل كل ما هوا غيبي ميتافيزيقي " **فلا أقبل شيئا ما على أنه حق، ما لم أعرف يقينا أنه كذلك**" [3]، وبهذا التعبير يتبن لنا أن منهج ديكارت يعتبر مشروعا ثوريا على كل ما هوا سائد ولعبت قواعد المنهج لديه تحولا جذريا بالنسبة للتعليم المدرسي ، فلقد كانت غايته ليس تكثيف المعرفة بقدر ما اهتم بصدقها والارتقاء بالنفس إلى مرتبة عالية تكون هي الفاعلة في المعرفة، واهتمام ديكارت بالعقل وإعطائه هذه الأهمية الكبرى يوحي إلى تجسيد النزعة الحداثية التي تضع العقل في مقام المعرفة العلمية[4]، ونظرا للظروف التي عاشها ديكارت والتي اتسمت بالاضطهاد والدغمائية في الفكر والتعصب كان الشك الديكارتي بمثابة الخطوة المهمة لدفن كل ما هوا أصولي تعصبي، وكانت إسهاماته بداية لعصر جديد أخذ فيه الإنسان دور الصدارة ومحور التفسير.

ثانيا: فرانسيس بيكون(1561،1626م)

---

[1] فريدريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة من ديكارت إلى هيوم، مجلد الرابع، تر، سعيد توفيق، محمود سيد أحمد،المركز القومي للترجمة، ط1 ،2013، الجيزة، القاهرة، ص110.

[2] رنيه ديكارت: **مقال عن المنهج ، مرجع سابق**، ص31،32.

[3] رنيه ديكارت: **نفس المرجع**، ص33.

[4] عبد القادر التومي: **مرجع سابق**، ص77.

الفيلسوف الإنجليزي الذي سعى إلى تخليص الفكر البشري من التقاليد الأفلاطونية والأرسطية بالتنظير للمنهج التجريبي، فقد اعتبر أن المنطق الأرسطي لا يفيد في الكشف عن الحقائق، بالإضافة إلى انه يجبر الإنسان على التسليم بحقائقه التي لا تأتي بأي جديد يذكر، ويعد بيكون أول من وضع صورة كاملة للمنهج الاستقرائي القائم على الملاحظة والتجربة، كما بين أخطاء القدماء وبين أسبابها، ودعا إلى ضرورة الاحتراس من الوقوع فيما أسماه بالأوهام أو الأصنام[1]، ونظرا لأهمية هذا الفيلسوف التجريبي الذي ساهم في تشكل عصر الأنوار وكان بمثابة أحد الزعماء الذين أعطوا مفهوما جديدا للمعرفة العلمية خاصة المعرفة التجريبية كان لابد من إعطاء صورة تلخص لنا الدور الحاسم الذي لعبه من خلال ما يعرف "بالأورجانون الجديد".

ينطلق الفيلسوف الإنجليزي فرنسيس بيكون بالقول أن هدف العلم هوا السيطرة على الطبيعة خدمة للمجتمع، ومن هذا المنطلق راح يؤسس إلى منهج جديد يساعد الإنسان في التوصل إلى المعرفة اليقينية فالعلم بالنسبة إليه يعني القوة[2]، وعلى الرغم من أن مشروعه الكبير والمتمثل في "**الإحياء العظيم**" لم يكتمل بسب وفاته إلا أن الأورغانون الجديد يعد أحد أجزائه المهمة الذي قدم فيه توضيحا للعلاقة بين الإنسان والطبيعة وكيفية السيطرة عليها كما أوضح أيضا منهجه الاستقرائي الذي عبر عنه قائلا " إن منهجي على الرغم من صعوبته في التطبيق، سهل في الشرح. منهجي هوا أن نرسي درجات متزايدة من اليقين..أن نستمر في الأخذ بشهادة الحواس، ونساعدها ونحصنها بنوع من التصويب، ولكن نرفض، بصفة عامة ، العملية العقلية التي تتلو الإحساس؛ بل نفتح مسارا جديدا للعقل أكثر وثوقا يبدأ مباشرة من الإدراكات الأولى للحواس نفسها "[3]، ومن هذا القول لبيكون يتبين لنا الهدف الذي كان يسعى إليه من خلال هذا المنهج فهوا يقر بضرورة الأخذ بشهادة الحواس والعمل على مساعدتها بتصويبها من جهة ، ورفض العملية العقلية التي تلي الإحساس من جهة أخرى ، بل لابد من أن تكون شهادة الحواس بمثابة البداية التي يسلكها العقل من أجل بلوغ اليقين، لأن هذه العملية الحسية التي تقوم بها الحواس تساعد العقل على إدراك المعرفة

---

1 فارح مسرحي: **مرجع سابق**، ص ص ،32،31.

2 بيتر كونزمان وآخرون: **مرجع سابق**، ص ،95.

3 فرنسيس بيكون" **الأورغانون الجديد، إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة**، تر، عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع ط1، القاهرة، 2013، ص ص 10،9.

الصحيحة واليقينية فهي في رأي فرنسيس بيكون بداية يبدأ بها العقل عمله لكي ينتج معارف يقينية.

آمن فرنسيس بيكون بالعلم إيمانا مطلقا جعله يؤكد على أن بمقدوره تحسين أحوال الناس فجعل منه أداة في يد الإنسان تعينه على فهم الطبيعة والسيطرة عليها، ولقد توصل بيكون إلى أن الخطأ الذي وقع فيه الفلاسفة القدماء(فلاسفة اليونان والعصور الوسطى)، هوا اعتقادهم بأن العقل النظري وحده كفيل بالوصول إلى العلم، ورأى أن المرض كله يعود إلى طرق الاستنتاج القديمة[1] ، خاصة فيما يتعلق بالعصور الوسطى التي طبع عليها الفكر السكولائي المتشبع بفكر أفلاطون وأرسطو، بالإضافة إلى ربط كل ما هوا موجود إلى عالم الغيب الإلهي الذي كان سائدا طيلة تلك القرون، ومن هنا كان المنهج التجريبي ثورة على كل ما هوا سائد بل إنه كان رؤية جديدة مناقضة لعقلانية ديكارت التي تعطي الأولوية للعقل قبل التجربة، فعمل بيكون إلى توضيح عمل العقل انطلاقا من جعل الحواس لبداية الأولى لتشكل المعارف الإنسانية ولقد ركز على الملاحظة باعتبارها أساسا مهما لفهم الطبيعة بمختلف ظواهرها إذ ليس باستطاعة الإنسان أن يفهم شيئا دون أن يلاحظه " فالإنسان هوا الموكل بالطبيعة والمفسر لها . وهوا بهذه الصفة لا يملك أن يفعل أو يفهم إلا بالقدر التي تتيحه له ملاحظته التي قام بها نظام الطبيعة ، سواء كان ذلك في الواقع أو في الفكر، ليس بوسعه أن يعرف أو يعمل أكثر من ذلك"[2]، فعلى الرغم من الثقة والحماس للعقل البشري في عصر التنوير حتى أصبح يطلق عليه عصر العقل إلا أن صعود التجريبية سواء في ممارسة العلم أو نظرية المعرفة ، كان بمثابة الركيزة الأساسية الثانية لتشكله، خاصة وأن عصر العقل كان يتناقض مع عصر الإيمان وليس مع عصر الخبرة الحسية ، ومن هنا كان كانت الثورة التي أحدثها بيكون والتي راحت تؤثر بشكل كبير على مفكري عصر التنوير بمثابة التيار الثاني الذي مهد إلى تهديم العصور الوسطى، ولا بد هنا أن نشير إلى أن النقطة الأساسية في هذا التحول تعود إلى الإنجازات العظيمة لإسحاق نيوتن في مجال العلوم الطبيعية والتي كان لها أثر كبير في تفكير بيكون خاصة أن الاستقراء كان العامل المشترك بينهما فطريقة نيوتن تبدأ بالظواهر الطبيعية المرصودة وتقلل من تعددها عن طريق

[1] عبد القادر التومي: **مرجع سابق**، ص ص،38،37.
[2] فرنسيس بيكون: المرجع السابق، ص،16.

الاستقراء، أي من خلال إيجاد قوانين ومبادئ رياضية يمكن اشتقاق وتفسير الظواهر منها[1] ومن هنا يتبين لنا كيف ساهم المنهج التجريبي بدور كبير في تبلور عصر الأنوار خاصة في المجال العلمي بحيث أصبح الإنسان قادرا على معرفة كنه الطبيعة وبالتالي تحرره من تلك القيود التي سنتها شريعة العصور المظلمة.

[1] موسوعة ستانفورد للفلسفة: **مقال بعنوان التنوير**، متاح بتاريخ، الجمعة 20 أغسطس،2010، مراجعة موضوعية بتاريخ، 29، أغسطس،2017، على الرابط التالي
https://Plato.stanford.edu/entries/enlightenment/E mpEnl
تاريخ الزيارة: السبت 21 مارس، 2020، على الساعة 20:30.

المبحث الثاني: التنوير دفاعا عن الحرية الإنسانية

المطلب الأول: جون لوك حرية الضمير حق طبيعي للإنسان

إن المعانات التي عاشها المجتمع الأوروبي في حقبة العصور الوسطى والتي كان فيها العقل خانعا ذليلا أمام سلطة الكنيسة الكاثوليكية المتعصبة التي جعلت من الدين قائما على رؤية رجال الأكليروس وحدها، ونظرا للاضطهاد الذي لحق البشري جراء ذلك العنف، استطاع العقل الأوروبي في الأخير أن يحرر نفسه من ذلك الخوف الذي سيطر عليه لسنين طويلة وتمكن من أن يرفع شعار الحرية ، غير أن هذه الأخيرة لم تكن لتأتي لولا جهود الفلاسفة الذين ساهموا بأفكارهم بتكسير تلك الأغلال ويعد الفيلسوف الإنجليزي جون لوك أحد تلك القامات الفكرية الذي سعا من خلال أفكاره الفلسفية التنويرية أن يوضح للإنسان أن مسألة الدين لا تعدوا في حقيقتها سوى مسألة متعلقة بالضمير الإنساني ، ومن هذا المنطلق سأحاول في هذا الجزء تبين رؤية جون لوك للدين وكيف ساهم في فصله عن الدولة باعتبار أن هذه الأخيرة لا علاقة لها بما يعتقده الإنسان حيال الدين.

جون لوك (1632،1704م)

الطبيب والفيلسوف الإنجليزي الذي يعود له الفضل في العديد من الأعمال الفلسفية خاصة في مجال المعرفة والعلم، أما في المجال الديني فتعبر رسالته في التسامح أهم الأعمال الفلسفية التي راح من خلالها يروج إلى فكرة حرية الضمير الإنساني خاصة فيما يتعلق بالدين، وكان يقصد بالتسامح الديني " أنه ليس من حق أحد أن يقتحم باسم الدين، الحقوق المدنية والأمور الدنيوية"[1]، أي أن جون لوك قد فرق بين الدين والدولة باعتبار أن هذه الأخيرة ليس لها الحق في التدخل في شؤون الناس المدنية انطلاقا من الأمور الدينية وأن الاختلاف في مسألة الدين لابد أن لا يكون سببا في الدخول إلى صراعات في الأمور المدنية، وقد نشر رسالته في التسامح دون توقيع اسمه خوفا من ردود الفعل الغاضبة التي قد تهدد حياته، فلقد دعا في كتابه إلى القضاء على بنية التفكير الأحادي المطلق، وروح التعصب الديني المغلق وإقامة الدين على العقل وبناء منظومة حقوق تؤسس لمفهوم التسامح تعتمد على مبدأ فصل المهام بين دور الكنيسة والدولة، كما دعا الكنائس إلى أن تتخذ من التسامح أساسا لحريتها وأن تعلم أن حرية الضمير حق طبيعي لكل إنسان وأنه لا إكراه في

[1] جون لوك : **رسالة في التسامح**، تر، منى أبو سنة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1 ،1997، الإسكندرية، ص7.

الدين سواء بالقانون أو بالقوة[1]، وعليه كانت جوهرة فكره تتمثل في أن مهمة الحكومة المدنية تختلف تماما عن مهمة الدين، وأن الدولة ما هي إلا هيئة تكونت لغرض الحفاظ على حياة وحرية الإنسان وامتلاكه للأمور الدنيوية التي تشكل متاعا له، أما العناية بعالم الروح فليس للحكام أية علاقة بها ولاهي من اختصاصهم، وعليه رفض جون لوك الاضطهاد والتعذيب الذين يمارسهما بعض المتشددين باسم الدين، وتساؤل عن ما إذا كان هؤلاء المتعصبين يمارسون نفس هذا الاضطهاد على أقربائهم وأصدقائهم الذين يخطئون في حق الإنجيل، ففي نظره أن هذا التشدد الذي يمارسون على الناس لو كان دفاعا عن الدين حقا فكيف يفسرون حياة الغش والخبث التي يعيشونها، وعليه كان لوك رافضا لهذا التناقض المبني على مبررات واهية تتنافى مع دعوة الإنجيل، واعتبر أن الصراعات الدينية والحروب الطائفية، التي تنشب بين المذاهب لا مبرر لها ، وأنه يحق لأي شخص اختيار الدين الذي يراه مناسبا وعلى الآخرين أن يحترموا هذا الاختلاف[2]،

لقد اعتبر جون لوك بأن التسامح هوا الحل العقلاني الوحيد لحل المشكلات، فالهدف من كتابه رسالة في التسامح هوا الوقوف على مجموعة من النقاط من بينها، أن التسامح ذو بعد روحي وقانوني واجتماعي بحيث يضمن للإنسان أن يعيش حياته دون خوف ، بالإضافة إلى كونه يسعى للوصول إلى السعادة الأبدية ، فالاختلاف في المذاهب الدينية ليس عيبا مادام الهدف المنشود منها هوا إرضاء الرب ، فالتسامح الديني هوا ميزة الكنيسة ووظيفة الدين والكنيسة ليست ممارسة الطقوس بل وظيفتها تنظيم الحياة البشرية، كما أن الدعوة إلى المسيحية لا تكون غصبا ولا بالقوة أو القتل فهي أمور غير واردة[3] ، وعليه كان لابد من وضع قوانين تحافظ على الإنسان وحرية معتقده وهي في نظر جون لوك من واجب الحكومة السهر على ضمان حرية الإنسان وليس التدخل في أمور المعتقد، خاصة أن هذه الأخيرة أصبحت تستعمل لأغراض سياسة ليس لها أية علاقة بالدين ولا بالدعوة إلى معرفة الرب.

---

[1] صالح شقير وساطع نسيب رضوان: **تفعيل مفهوم التسامح فلسفيا**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، المجلد36، العدد5، 2014، تاريخ النشر 2014/09/30،

[2] حمادي أنوار: **مقال بعنوان التسامح الديني من التطرف إلى حرية الاعتقاد**، مؤمنون بلا حدود، تم النشر في 12.2019/27، على الرابط التالي: http://www.mominoun.com/articles/2583 تاريخ الزيارة: 2020/03/27،على الساعة، 15:00.

[3] بوشناف سحابه: **مقال بعنوان جون لوك وآفاق التسامح**، طالبة دكتوراه تحت إشراف، بن مزيان شوقي ، جامعة وهران2.

لقد كانت الغاية التي تقوم عليها رسالة جون لوك حول التسامح هي أن غايات السلطة السياسية تختلف كل الاختلاف عن غايات السلطة الدينية، وأن ضرورة تسامح السلطة المدنية إزاء الآراء والمعتقدات ضرورة إجبارية، بالإضافة إلى أن سياسة الإكراه لن تغير في الآراء والمعتقدات شيء بل سيؤدي ذلك إلى النفور والكره[1] ، وبالتالي تؤدي إلى حروب ونزاعات لا طال منها، كما اعتبر جون لوك أن خلاص النفوس هو في حقيقة الأمر ليس من شأن ولا مهام الحاكم أو أي إنسان مهما كانت صفته ، لأن الحاكم ليس مفوضا من الله لخلاص النفوس وأن الله لم يكلف أي إنسان بذلك – كما كانت تعتقد به الكنيسة بالنسبة للبابا– ، لأن الله من غير المعقول أن يمنح سلطة يفرض بها دينه على الناس بالقوة كما أن الشعب لا يمنح هذه السلطة للحاكم ، لأنه ليس هناك شخص مهما كانت مكانته أن يسلم نفسه لإنسان آخر يتولى أمر خلاصه ، وبالتالي ليس هنالك أي إنسان له القدرة –وحتى لو أراد ذلك– أن يكيف إيمانه طبقا لأوامر إنسان أخر لأن جوهر الدين الحقيقي يكمن في القدرة على الإقناع العقل بأن هذا الدين هوا الدين الصحيح [2]، ومن هذي الرؤية يتضح لنا كيف أن جون لوك حاول أن يعطي دلائل عقلية تؤكد على أن الدين يتعلق بالضمير الإنساني ومدى استيعابه لكلام الله وليس هنالك أية مشكلة لو اختلف الناس في طريقة عبادهم لله مادام الهدف المشترك بينهم هوا إرضاء الرب كما أن الدين في نظر لوك يسعى إلى تنظيم حياة الناس وليس من اجل القتال والحرب وبالتالي فإن دعوة جون لوك إلى إرساء فكرة التسامح الديني وليدة لتلك النزاعات والخلافات وتدخل الدولة في فرض المعتقدات على الناس بما يتماشى مع تقاليدها.

كما يذهب جون لوك إلى تبيان دور العقل كقاعدة أساسية للتسامح الديني وذلك عن طريق إثارة المعرفة الإنسانية فعلى الرغم من إعجابه بديكارت غير أنه يرفض رفضا تاما أرائه القائلة بالأفكار الفطرية باعتبار أن الخبرات البشرية متعددة ، فلقد كانت فلسفته ذات الطابع التجريبي والقائمة على المعرفة الإنسانية تحتل المرتبة الأولى في كتاباته خاصة نظرية المعرفة، وعليه اعتبر لوك أن الكشف عن دور العقل كأساس للتسامح الديني يكون عن طريق المعرفة الإنسانية فالاعتقاد الديني يتم عن طريق القدرات المعرفية من حدس

[1] معزوز عبد العلي: **مدارات التسامح**، مجلة تبيين، العدد،4، ربيع 2013، ص152.
[2] جون لوك : **في الحكم المدني** ، تر، منى أبو سنه ، المجلس الأعلى للثقافة ،ط1، الإسكندرية ، 1997، ص25،24.

وحس وبرهان، والهدف من ذلك هو بيان الحدود القصوى للمعرفة البشرية والتميز بين المعرفة الصادقة والاعتقاد الخاطئ، فالمعرفة الميتافيزيقية معرفة غامضة لأنها لا تعتمد على التجربة وبالتالي لا يمكن أن تتجاوز نطاق الخبرة التجريبية [1]، ومن هنا نرى رؤية جون لوك للأمور الميتافيزيقية بأنها أمور خارجة عن نطاق القدرة البشرية وبالتالي فالأمور الغيبية كمعرفة الله لا تتأتى من اعتقاد واحد ولاهي تعتمد على قدرة العقل لأنه قاصر أمام ما يفوق طاقته.

وهكذا فبقدر ما يحتل الدين من مكانة لدى الإنسان ، بقدر ما هي الحاجة أن يكون الإنسان حرا في اعتناق الدين الذي يراه مناسبا لأن هذا الجانب الروحي بالذات لا يحق لأي أحد أن يتجاوزه ولا أن تشمله تنازلات أو تطاله انتهاكات فالدين في حقيقته مرتبط أساس بالإيمان والتصديق والتسليم، فأن يؤمن شخص بدين ما هذا يعني أنه جعل خلاصه ونجاته رهينة لذلك الدين الذي اعتنقه فهوا في هذه الحالة يعتبره بمثابة القوى التي لا تعلوا فوقها أية قوة وهذا ما يجعل الإيمان صادقا وخاليا من أية وصاية بل يعود إلى الضمير الإنساني الذي يشعر حياله بالراحة والحرية والسكينة النفسية [2]، وعليه يرى جون لوك أن التزام شخص ما بكنيسة معينه هو في حقيقة الأمر ليس التزاما طبيعيا بل لأنه يرى أن في تلك الطائفة أو الدين خلاصه ذلك أن رؤيته لتلك الطائفة أو المجموعة كونها هي الصحيحة تجعله مرتبطا بها ارتباطا وثيقا وبالتالي فإن كل فرد يعتق دين معين أو ينتمي إلى جماعة ما فهوا انطلاقا من ضميره ومن قناعاته الشخصية يرى بأنها الأنسب والأفضل له، لذلك فإن كل من يحاول أن يخضع شخصا ما لسلطته المطلقة، هو في حقيقة الأمر يدعوا إلى الحرب على هذا الإنسان، فهذه السلطة التي يفرضها عليه هي بمثابة إعلان عن السيطرة على حياته قسرا وهوا بذلك سيسعى إلى القضاء عليه متى أراد فالسيطرة المطلقة على شخص وإكراهه عنوة على ما يتناقض مع حقه بالحرية يجعله عبدا له وعليه كان التحرر هو الحل الوحيد لضمان بقاء الإنسان الوحيدة[3]، وعليه كان من واجب كل شخص أي يحترم هذا الاختلاف وبدل النزاع والقتال حول هذه المسائل التي هي في حقيقتها متعلقة بعلاقة الإنسان بربه كان حريا

---

[1] مسدورة هيبة: **خطاب التسامح في فكر الأنوار**، مذكرة لنيل شهادة المجستار في الفلسفة، إشراف ، حمادي أنور، جامعة السانية بوهران كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2011/2010، ص ص105،104.

[2] حمادي أنوار: مرجع سابق،

[3] جون لوك: **في الحكم المدني**، مرجع سابق، ص148.

بنا أن نؤسس إلى مفهوم التسامح الديني الذي يؤمن بأن الاختلاف في التوجهات العقائدية ضرورة إنسانية ويجب احترامها وعدم التدخل فيها بل لابد من التعايش وفق مبادئ الحرية الإنسانية التي لا تسيء لأي فرد مهما كان مختلفا عنا.

المطلب الثاني: فولتير الحرية الدينية كبديل عن التعصب

إن فلسفة الأنوار التي انطلقت في مسعاها إلى تحرير الإنسان من قيود الماضي التي شكلت له عقبة كبيرة في تحقيق ذاته ككائن مستقل، والتي نادت بأن العقل ميزان مطلق لابد من رفع الوصاية عليه، كان بمثابة المركز الأساسي الذي انطلق منه الإنسان في تشكيل رؤى جديدة ساهمت بشكل كبير في تطور طبيعة تفكير الإنسان فبمجرد الدعوة إلى تحير العقل راح الإنسان يبنى على هذه المسلة أفكار جديدة ، فقد ظهرت رؤى جديدة سعت إلى تحرير المجتمع والسياسة من جميع الأشكال التي تقزم العالم، كالعقيدة والتعصب ، فإذا كان جون لوك كان القدوة لفولتير والذي ناد بحرية الضمير الإنساني فإن الفيلسوف الفرنسي فولتير، كان هوا الآخر مدافعا عن فكرة الحرية ونبذ التعصب ، خاصة في رسالته الشهيرة حول التسامح.

يعتبر الفيلسوف الفرنسي فرنسوا ماري آروويه (1694،1778م) المعروف باسم فولتير أحد قامات عصر التنوير الذي ساهم بدور كبير في بلورة فكر عصر الأنوار وكان لها الأثر البالغ على العالم الأوروبي بصفة عامة وعلى المجتمع الفرنسي بصفة خاصة، وتعتبر أهم فكرة ناد بها فولتير هي نزع المطلقية على الحاكم وحصر سلطاته وتقيديها، فهوا يرى أن دور الحاكم هو أن لا يتدخل إلا في ما يضمن السلم المدني، ويمنح الناس حرية الاعتقاد ، فالدين من وجهة نظر فولتير أمر يخص الفرد وحده، فهو عبارة عن علاقة سطحية بين الإنسان وربه [1]، وعليه فقد كانت دعوة فولتير إلى التخلص من الاستبداد الحاكم والتخلص من التعصب الديني فهذا الأخير في رأي فولتير هوا علاقة بين الإنسان وربه ولا دخل لأي كان فيها.

[1] أمل الشواربي وآخرون: **مقال بعنوان فولتير فيلسوف عصر التنوير**، أعلام ومفكرون، تاريخ النشر، 2016/01/31، على الرابط التالي:
https: //www.google.com/amp/s/www.syr-res.com/amp.php%3fid=9080

لقد وجد فولتير في التعصب الأصل المنطقي لكل قضايا العنف واللاتسامح الدينية ذلك أن التعصب المسيحي في حقيقة الأمر لم يأتي من الدين المسيحي بل كان نتيجة لتأويلات المتأخرين، ففي نظر فولتير أن التعصب الديني ناتج عن المغالطات والنزعة المصلحية والتأويلات الغير سليمة لرجال الدين لأن المنهج المتبع لديهم غير سليم من الأساس، الأمر الذي أدى إلى الدغمائية وبالتالي التنافر في تأويل المفاهيم الدينية، واستنكار كل فرقة فهم الفرق الأخرى فيما يخص طريقة العبادة والخلاص[1]، وعليه كانت نظرة فولتير إلى الدين على أنها رؤية تأويلية خاطئة من الأساس وبالتالي راحت هذه الرؤية تعصف بالإنسان وأدخلته في حروب ومشاكل في غنى عنها ومن هنا كان فولتير بتحليله للدين بهذه الطريقة يدعوا إلى إرساء رؤية جديدة تبنى على التسامح والحرية الدينية ونبذ كل أنواع العنف والاضطهاد باسم الدين بدعوى مخالفة الأوامر الإلهية فهي ليست إلا تأويلات قاصرة لا صحة منها، وبالتالي فإن العنف الذي يحدث جراء هذا الفهم الغير صحيح أدى إلى نتائج وخيمة على المجتمعات الأوروبية وهذا ما صرح به فولتير في رسالته حول التسامح قائلا " إن العنف المسعور الذي يدفع إليه العقل اللاهوتي المغلق، والغلو في الدين المسيحي المساء فهمه، قد تسببا في سفك الدماء وفي إنزال الكوارث بألمانيا وبانكلترا ، بل حتى بهولندا ، بقدر لا يقل عما حدث في فرنسا"[2] .

أن التعصب الديني في نظر فولتير عبارة عن جنون يصيب العقل و يعدي وينتقل من شخص لآخر عن طريق الخطب والاجتماعات أكثر مما تنقله الكتب ، والتعصب إذا قورن بالإيمان و الخرفات فهوا كالهذيان إذا قورن بالحمى وكالغيظ إذا قورن بالغضب، وليس هنالك دواء لهذا الداء إلا الفكر الفلسفي الذي إذا انتشر أدى إلى تلطيف أخلاق البشر[3]، أي أن التعصب ناتج عن الخطب التي يلقيها بعض الرجال المتحمسين ذوي التفكير المنغلق على النفوس و المخيلات الضعيفة ، وبالتالي يكون تأثيرها عليهم قوي مما يجعل منهم أصحاب نظرة منغلقة أصولية متعصبة تجعل من الدين ذا رؤية واحدة لا يجب الخروج

---

[1] محمد غانم: **مقال بعنوان في نقد التعصب الديني فولتير أنموذجا**، فيلو كلوب ، تم النشر بتاريخ، 2019/01/25، على الرابط التالي: https://www.philoclib.net/2019/01blog-post-1.html?m=1
تاريخ الزيارة 2020/03/25، على الساعة 00: 21.

[2] فولتير: **رسالة في التسامح**، تر، هنريت عبودي، دار بتر ،ط1،2009، سوريا، دمشق، ص31.

[3] أندريه كريستون: فولتير حياته آثاره فلسفته، تر، صباح محي الدين، منشورات عويدات، ط2 ،1984، بيروت، باريس، ص ص 122،123.

عنها، وأن الخروج عنها أو تقبل أفكار جديدة عنها يكون بمثابة كفر وهرطقة ويؤدي ذلك إلى قتلهم بدعوى مخافتهم للدين، ولعل أكثر حادثة تثير سخط فولتير تلك القصة التي يرويها عن أسرة جان لا كاس ذلك الرجل البروتستانتي الذي تعرض للإعدام نتيجة لتعصب أهل المدينة، فلقد كانت أسرة جان لاكاس المتكونة من فتاتين وولدين ذات توجه بروتستانتي إلا ولد منهم يدعى مرك–أنطوان الذي كان يميل إلى الكاثوليكية، غير أن والده لم يكن متعصبا ولم يعارض ارتداد ابنه، لكن الحادثة التي وقعت لابنه جعلت من السلطة تعدمه، فلقد وجد ابنه منتحرا وكان هذا راجعا لفشله في حياته العملية وتوهمه أن أصوله البروتستانتية هي السبب في ذلك، وبعد أن عثر على أنطوان منتحرا شنقا ، ذهب كل من كلاس وصديقه لا فيس هذا الأخير– الذي صادف مجيئه ليلة انتحار أنطوان– باحثين عن الأطباء ورجال العدل لإعلامهم عن قضية الانتحار فوجدوا أنفسهم متهمين بقتله بدليل أن السبب في ذلك أن أنطوان كان مرتدا على البروتستانتية ، ولقد كان هذا التفسير بمثابة الخبر الكبير الذي انتشر سريعا في المدينة بأن الدين البروتستانتي يحث الآباء والأمهات على شنق أبنائهم الذين يفصحوا على اعتناق الكاثوليكية، وعلى اثر هذا التحليل المتعصب فقد لاكاس حياته وعانت عائلته العداء الشديد بسبب الدين [1]، وهذا ما جعل فولتير يوجه نقدا وسخطا ساخرا على القضاة والتوابون البيض على حد تعبيره قائلا" إذا كان التوابون البيض هم السبب في إعدام إنسان بريء ، وفي دمار أسرته وتشتتها وإنزال العار بها ، ذلك العار الذي يلحق لا محالة كل من ينفذ فيه حكم الإعدام [...] وإذا كان التوابون البيض بتعجلهم في تقديس شخص ما كان يستأهل، بحسب عاداتنا الهمجية،[...] قد تسببوا في إعدام رب أسرة صالح فحري بهم أن يتوبوا حقا حتى نهاية أيامهم، عليهم هم والقضاة أن يذرفوا الدموع ، ولكن من دون أن يرتدوا جبة طويلة بيضاء ، ومن دون أن يضعوا على وجوههم قناعا يخفي دموعهم"[2].

وعليه كان التعصب الديني من وجهة نظر فولتير الخطر الكبير على الناس بل إن خطره على العالم كله وهذا ما جعله يعتبر حرية المعتقد لا بد أن تبنى على التسامح لأن

[1] محمد غانم: **مرجع سابق**، تاريخ الزيارة، 2020/03/26، على الساعة 13:15

[2] فولتير: **مرجع السابق**، ص 21.

الدين علاقة ظاهرية بين الإنسان وربه وعليه لابد من أن تنتهي تلك الوصاية المفروضة على العقل الإنساني والدعوة إلى تحريره من كل الخرافات.

تعتبر الثورة الفرنسية إحدى نتائج التي خلفتها أفكار فولتير وغيره من الفلاسفة الذين كانوا يميلون لهذا الطرح مثل ديدروا وروسو وغيرهم، ذلك أن المساوئ كانت صارخة ومكامن حقده كانت متأصلة إلى حد لم يكن معه بد إلا الإصلاح العاجل، فاشتعلت نيران الثورة وأزهقت فيها النفوس واشتدت فيها المطالبة بالحريات ، وعلى الرغم من أن الطريقة كانت قاسية وعنيفة إلا أن فرنسا قد خرجت من هذه المحنة بحيوية جديدة ونظم سامية كثيرة، غير أن الميدان الديني كان الميدان الوحيد الذي كان فيه الإصلاح محالا فقد فشلت كل الجهود المبذولة، وعلى الرغم من أن الجمعية الوطنية قد بدأت في سنة 1789م، بالعمل على تهيئة أسباب التسامح الديني وإعادة تنظيم الكنيسة على أساس الإدارة المدنية غير أن السلطات العليا في رومية أبت التسليم بهذا النظام، فأدى ذلك إلى إثارة الخلاف والشجار بين المتحمسين في الدين والمتحمسين إلى الوطنية،[1] والواقع أن هذه الثورة اختلفت عن سابقاتها باعتبار أنها حركة إنسانية شاملة نادت بإيقاف التعصب الديني ومنح الفرد حرية العبادة ، وأرادت للناس بحق أن يكونوا كما ولدتهم أمهاتهم أحرار وقد حرصت في دعوتها على اقتلاع جذور التعصب والخلافات الطبقية والالتزام بالسلوك القويم والضمير الإنساني والإيمان بالحرية .

المطلب الثالث : كانط الدين باعتباره ممارسة أخلاقية

لطالما شكلت مسألة فهم الدين عائقا كبير لدا الفلاسفة والعلماء خاصة في حقبة العصور الوسطى في أوروبا أين كان الناس يستمدون كل تعاليمه من جماعة الأكليروس – التي كانت لها الأحقية وحدها في تأويله كيف تشاء– غير أن تلك المرحلة استطاعت أن تكسرها مرحلة حاسمة في تاريخ البشرية وأقصد هنا عصر الأنوار الذي يعد تشكله ضرورة حتمية وتمردا على كل ما هوا سائد خاصة أن أوروبا آنذاك قد غرقت في الدماء والحروب جراء الأصولية الدينية التي مارستها الكنيسة على الناس ، ويعتبر الفيلسوف الألماني إمانويل كانط أحد أعظم فلاسفة عصر التنوير الذي ساهم بشكل كبير في إعطاء صورة أقل ما يقول عنها بأنها رؤية جديدة للدين ويعتبر كتابه " **الدين في مجرد حدود العقل**" بمثابة

[1] أنظر سعيد حبيب: **أعلام الفكر الفرنسي**، دار الشرق والغرب، القاهرة ، 1950، ص 64،58.

الرؤية الجديدة التي صور كانط من خلالها مفهوما للدين وسنحاول هنا أن نوضح كيف ساهم كانط في نقل الدين من سلطة الأكليروس إلى سلطة العقل الإنساني؟

يعد الفيلسوف الألماني العظيم إمانويل كانط(1724،1804م) أحد أبرز قامات عصر التنوير الذي رفع شعار " كن جريئا على الفهم" في مقاله الشهر جوابا عن سؤال " ما هوا التنوير" فهذا الخطاب الذي ناد به كانط يدور حول الإنسان الذي يتميز بالوعي والعقل الذي يميزه عن باقي المخلوقات ويساعده على المعرفة الصحيحة والقرار الصائب إذا استطاع استخدامه بشكل صحيح وبدون توجيه من إنسان أخر وهذا ما يجعله يدرك ذاته وحقيقته ويعبر عن إرادته ، ولن يتحقق هذا إلا عن طريق الحرية الذي من غيرها يتحجر الوعي داخل الأفراد ويبقى الإنسان سلبيا قاصرا أو تابعا منفعلا مقيدا[1] إي أن كانط يرى بأن التنوير يتطلب الحرية في الاستخدام العلني للعقل وفي كل الأمور فالتنوير عنده ذلك النمط العقلي المتوازن في التفكير.

أما فيما يتعلق بالدين يذهب الفيلسوف الألماني إمانويل كانط في المرحلة ما بعد النقدية وهي المرحلة الأخيرة من حياته، إلى الحديث عن دين من نوع آخر يطلق عليه كانط الدين الأخلاقي وذلك في مقابل الدين التاريخي (الدين السماوي) فكانط لا يتحدث عن الدين إلا في إطار الحديث على دين أخلاقي، الذي يؤسسه على العقل المجرد وحده في استعماله العملي، قوانينه قبلية مطلقة لا تستند على إي واقع تجريبي أو وقائع تاريخية، ويسري في داخله القانون الخلقي ويحركه[2]، أي تأسيس الدين انطلاقا من الأخلاق.

أن الدين الحقيقي حسب كانط يجب أن يتأسس على أخلاق العقل ، بوصفها الوسيلة المثلى التي من خلالها يمكن تفادي كافة التأويلات التي يتعرض لها السلام العالمي، فهوا يرى أن الإيمان بالدين الأخلاقي يخلص البشرية من الحروب والصراعات، وأن هذه الأخيرة التي هزت أوصال العالم وأدمت جراحه في كل أشكالها لم يكن لها سبب سوى صراع العقائد والأديان التاريخية، أما الدين الأخلاقي فهوا دين داخلي، يخلو من الطقوس والشعائر والاحتفالات، فهو لا يقوم على العبادات والمعجزات بل يقوم في جوهره على استعداد القلب

---

[1] أعمال مؤتمر العراق الفلسفي السابع : **الفلسفة والتنوير**، المنعقد في 24،25،تشرين الثاني ،2015، الجامعة المستنصرية كلية الآداب قسم الفلسفة، العراق .ص ص،119،120.

[2] غيضان السيد علي: **الدين الأخلاقي في مقابل الدين التاريخي دراسة في فلسفة الدين عند كانط** ، مؤمنون بلا حدود، الرباط، المملكة المغربية ، ص1.

ليحقق الإنسان كل واجباته الإنسانية بوصفها أوامر إلهية[1]، ومعناه أن يقوم الإنسان بعمل الخير باعتبارها أوامر إلهية مقدسة ليس الهدف من ورائها نفعا وإنما اعتبارها واجبا إلهيا وهذا يحيلنا إلى القانون الأخلاقي الذي سنه كانط باعتباره واجبا يقوم به الإنسان في ذاته أي دون أن ينتظر أن يعود إليه بمنفعة أو فائدة، كما يذهب كانط في كتابه العقل في حدود مجرد العقل إلى أن الأخلاق في حقيقتها مؤسسة على مفهوم الإنسان باعتباره كائن حر، وهوا في نفس الوقت ملتزم لنفسه من خلال العقل بقوانين مشروطة ، لا تحتاج في حقيقتها إلى فكرة كائن فوق الإنسان حتى يعرف واجبه ولا دافع آخر غير القانون الأخلاقي نفسه حتى يلاحظه، كما أن شعوره بالحاجة إلى هذا النوع من هذه الأفكار– فكرة الإله الذي فوقه– لا يمكن سده أو شفاءه بأي شيء آخر مادام صادر من ذاته، ذلك أن ما لا يصدر عن ذاته وحريته، لن يمنحه أي عوض عن النقص الذي في خلقيته[2]، أي أن كانط يعتبر أن مفهوم الأخلاق مؤسس على الإنسان ذاته ولا علاقة لها بالدين وأن العقل يعمل وفق قوانين تجعل منه يميز الأعمال الأخلاقية عن غيرها كما أن كانط يذهب إلى أن فكرة الله نابعة عن إرادة الإنسان الحرة وبالتالي فهوا المسؤول عن هذا الشعور لأنه نابع من ذاته وبإرادته الحرة.

إن الدين الأخلاقي عند كانط هو دين الفطرة، يتأسس وجوده في الشعور الأخلاقي ولهذا كانت الأخلاق افتراضا مسبقا وأساسا لوجوده ، وتقتضيه الحرية الإنسانية ويؤسس على العقل المجرد وحده ، ومن ثمة فهو دين يسعى للخروج بالإنسانية من دين الطقوس والشعار إلى دين العقل[3]، وعليه فإذا كان كانط قد انشغل في كتابه نقد العقل الخالص (1781م) بفحص شروط إمكان المعرفة العلمية، وإذا كان قد اهتم في كتابه نقد العقل العملي (1788م) في تأسيس حداثة أخلاقية، وان كان قد خصص نقد ملكة الحكم (1793م) لرسم ملامح حداثة استيطيقية، فإنه في كتابه الدين في مجرد حدود العقل كان يهدف إلى تعين درب آمن نحو حداثة دينية ، أي فهم الدين في حدود القدرة العقلية، وعليه فكان سعيه نحو الخروج بدين من فضاء الملة إلى أفق المواطنة الكونية، وبالتالي الانتقال من دين العقائد

---

[1] غيضان السيد علي: **الدين الأخلاقي عند كانط وحدة الفطرة والعقل**، الاستغراب، مجلد 3، عدد،9، ص ص181،180.

[2] إمانويل كانط : **الدين في مجرد حدود العقل**، تر، فتحي المسكيني، جداول، ط1، بيروت، لبنان، 2012، ص45.

[3] غيضان السيد علي: **الدين الأخلاقي عند كانط وحدة الفطرة والعقل**، مرجع سابق ، ص282.

والعبادات إلى دين العقل المحض[1]، أي إلى دين الحرية الإنسانية في حدود القدرة العقلية السليمة الذي يسعى إلى الانتقال من الاستبداد الروحاني القائم على الأوهام الدينية إلى دين قائم على العقل الأخلاقي والحرية الأصيلة للإنسان.

غير أن الكتاب الذي كتبه كانط وأعني كتابه الدين في حدود مجرد العقل أحدث له جلبة وسخطا كبيرا خاصة القائمين على شؤون المدينة فقد بعث وزير الملك فريديريك الثاني رسالة تأنيب مطالبا كانط تبريه ما ألحقه كتابه من احتقار وتشويه لثوابت الدين المسيحي ، وما كان على كانط إلا أن يبرأ ذمته من هذه التهم الموجهة إليه فأرسل برده مفاده "... أنني بصفتي مربيا للشباب، أي ضمن دروسي الأكاديمية لم أتعرض قط بأي نقد للكتاب المقدس ولا للمسيحية [...] وإنني لم أشكك أبدا في الدين الرسمي للدولة [...] وإن كتابي الدين في حدود مجرد العقل هو بالنسبة للعموم كتاب مستغرق وغير مفهوم [...] وإنما هو مجرد نقاش بين علماء الكلية لا تعيره أي اهتمام"[2]، ويتبين لنا من هذا القول أن كانط كان يحاول الدفاع عن كتابه لكي لا يقع في ما وقع فيه غيره من المفكرين والعلماء، حتى وان كان هذا العصر قليل التشدد عن سابقه غير أن الحيطة والحذر كانت واجبة هذا من جهة، ومن جهة ثانية كان كانط يسعى أن لا يخرج على مساره النقدي الذي انطلق منذ البداية منه ولهذا سعى في كتابه هذا إلى أن يكون بمثابة رؤية عقلية تتماشى مع طبيعة ذلك الوقت، فلقد لجأ كانط في التصدير الثاني من هذا الكتاب إلى استعمال مجاز هندسي لرفع اللبس والشكوك التي أحاطت بالكتاب وهوا مجاز الدائرة حيث يصف الدين بالدائرتين التي تشتركان في مركز واحد، إحداهما واسعة وهي دائرة العقيدة القائمة على الوحي وديانات القصص، والأخرى ضيقة وتتضمن النواة العقلية المحضة للدين، فهوا ميز بين نوعين من الدين دين العبادة الخاص باللاهوت ودين العقل الذي هو مجال اشتغال الفيلسوف، وعليه كانت أطروحة الدين في حدود مجرد العقل تعني عند كانط أن العقل يجرد الدين من كل مضمون تاريخي ويجعل منه دينا بلا وحي ولا طقوس، أي دينا بوصفه جملة الواجبات الإنسانية بكونها أوامر إلهية[3]،

---

[1] أم الزين بنشسيخة المسكيني: **كانط والحداثة الدينية**، المركز الثقافي العربي، ط1 ،2015، الدار البيضاء، المغرب، ص66.

[2] نقلا عن : أم الزين بنشسيخة المسكيني: **كانط والحداثة الدينية: مرجع سابق**، ص70.

[3] أم الزين بنشسيخة المسكيني: **كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرد العقل**، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء ، الكويت، 2006، ص54.

أي جعل الدين بمثابة واجبات أخلاقية يمارسها الإنسان عن طريق الواجب الأخلاقي باعتبارها قوانين وأوامر إلهية.

خاتمة

وختاما لما سبق التطرق إليه فإن الموضوع الموسوم ب " الإصلاح الديني في أوروبا وعلاقته بالتنوير الفلسفي" لم يكن موضوعاً يمكن المرور عليه مرور الكرام ذلك أن الإشكالية الكبرى التي انطلق منها هي معرفة العلاقة التي ربطت بين الإصلاح الديني الأوروبي الذي بدأت لبناته الأولى منذ القرن الثاني عشر ميلادي والتنوير الفلسفي الذي كانت بداياته الفعلية في القرن الثامن عشر، فعلى الرغم من المدة الزمنية الطويلة التي تفصل بين الاثنين غير أنهما اشتركا في قضية واحدة، وهي تحرير العقل الإنساني من الجهل والجمود الذي فرضته الكنيسة بصفة عامة ورجال الأكليروس بصفة خاصة، ويمكن تلخيص هذا الموضوع في النقاط التالية :

1 سيطرة الكنيسة على السلطة و فرض رقابتها المشددة على كل من يخالف سلطة الكتاب المقدس، واعتبرت أن أي فكر خارج عن المألوف هو هرطقة وكفر ومن الواجب محاربته، مما جعلها تقتل وتشوه أفكار العلماء ورجال الدين الذين يدعون إلى إعادة توضح الدور الحقيقي للدين الذي غرضه التكفل بالحياة الروحية للإنسان بعيدا عن الحياة المدنية.

2 فرض رجال الدين سلطة الكتاب المقدس باللغة اللاتينية التي يجهلها عامة الشعب، مما حال بينهم وبين فهم فحوى الكتاب، الأمر الذي جعلهم يتبعون كل ما يقال لهم عن الدين من أفواه رجال الأكليروس.

3 ظهور المصلح مارتن لوثر، الذي رأى أن ما تدعو إليه الكنيسة الكاثوليكية مجرد أكاذيب نسبوها للدين، فعمد على محاربتها، وأعاد ترجمة الكتاب المقدس باللغة العامية التي يفهمها عامة الشعب، مما شجعهم ذلك على الإطلاع على أسرار الكتاب المقدس، ولقد تولد عن أفكار مارتن لوثر الإصلاحية ثورة عارمة في كل بقاع أوروبا، والتي اتسمت برفع شعار الحرية والعدالة وحق الإنسان في الحياة دون قيود، وأن الدين لابد أن يأخذ من الكتاب المقدس وليس من رجال الدين، الذي كان همهم الوحيد الحفاظ على سلطتهم وقوتهم.

4 ظهور المطبعة والكتابة، وانتشار ظاهرة حرية التعبير والنقد، مما ساعد على انتشار ثقافة المطالعة والعودة إلى التراث اليوناني القديم، الذي أعادت إحياءه مجموعة من الفلاسفة والمثقفين وقد برز ذلك بقوة في عصر النهضة

5 ظهور الكتاب والسياسيين، حيث اتسمت كتاباتهم بالنقد اللاذع لسلطة الكنيسة ، والدعوة إلى الفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية، ويعتبر مكيافيلي أحد ابرز الشخصيات إلي كان لها دور في ذلك خاصة في كتابه " الأمير " وقد تشكلت عن الرؤى السياسة المختلفة ظهور مصطلح الديمقراطية والدولة الحديثة.

6 وفي مجال العلم، أحدث الثورة التي قادها كل من كوبرنيك و كبلر وغيرهما، خاصة إشكالية مركزية الشمس منعطفا حاسما في تاريخ العلم، وقد بلغت ذروتها مع إسحاق نيوتن الذي أعاد الاعتبار إلى هذه النظريات العلمية وتطويرها، مما جعل سلطة تعاليم أرسطو وبطليموس التي تبنتها الكنيسة لقرون طويلة تختفي تدريجيا، خاصة أنها كانت تتناول على أنها حقائق في الجامعات الأوروبية.

7 أما من الناحية الفكرية والفلسفية، فلقد كان عصر الأنوار المدخل الأساسي للقطيعة الكبرى بين أوروبا العصور الوسطى وأوروبا الحديثة، ذلك أن معظم الفلاسفة استطاعوا أخيرا أن يبحثوا في الأمور المتعلقة بالدين المسيحي الذي جعله رجال الدين بمثابة ستار للوصول إلى أطماعهم وأهدافهم السياسية، ولهذا عمد فلاسفة أمثال جون لوك وفولتير و كانط، إلى إعادة قراءة الدين المسيحي بعيدا عن تأويلات رجال الدين، وإدراكهم للأخطاء التي تشبع بها خاصة من الأفكار التي تم أخذها من الفلسفية اليونانية، وخلصوا في الأخير إلى أن مهمة الدين الأسمى هي تنظيم الحياة الروحية للإنسان، وأن الاختلاف في الاعتقاد ضرورة منطقية وليس من حق إي كان أن يفرض سلطته على الإنسان أو أن ينهي حياته باسم الدين فقط لمجرد أنه اختلف معه في الطرح أو طريقة التعبد.

وعليه فإن هذه الرحلة الكبيرة التي مرة بها الإنسان الأوروبي لم تكن لتكلل بالنجاح لولا تضافر جهود العلماء ورجال الدين والفلاسفة، فلم يكن من السهل التخلص من ذلك الموروث الديني الخاطئ، الذي تناقله الإنسان الأوروبي جيلا بعد جيل، حتى صار حقيقة راسخة في العقول، ومن هذا المنطلق ومن باب المقارنة التاريخية، هل يمكن لنا أن نقول أن ما حدث لأوروبا طيلة تلك العصور هوا ما يحدث للأمة العربية الآن، فكل الحقائق تدل على أن ما تمر به البلدان العربية ناتج عن قمع الحريات وسلب حرية التفكير، فلقد أصبح المجتمع العربي الإسلامي في فوضى عارمة بعد أن كانت له السيادة في العصور الوسطى، ولا أحد ينكر حقيقة أن الأوربيين قد نهلوا من الحضارة الإسلامية أيام ازدهارها، خاصة من الفلاسفة

المسلمين أمثال ابن رشد والفارابي والغزالي وغيرهم، فلماذا تراجع الدور وأصبحنا أمة يضرب بها المثل في الجهل والتخلف؟، و إذ أردنا أن نكون أكثر وضوحا، هل من الممكن أن نقول أن المجتمعات العربية والإسلامية بمختلف توجهاتها يمكنها أن تتحد تحت راية واحدة وتحدث قطيعة كتلك التي قادت المجتمع الأوروبي إلى التغير؟ أم أن هناك أسباب خفية وأيادي خارجية، تحول بينها وبين هذا المطمح؟، فليس من المعقول أن يبقى العقل العربي والإسلامي، يتكئ على تفسيرات القرون الماضية، لكي يعالج الأزمات التي تختلف كل الإختلاف عن الأزمات التي نعيشها الآن.

قائمة

المصادر والمراجع

أولا المصادر:

1) مارتن لوثر: **أصول التعليم المسيحي "الكتاخيسموس الصغير"** ، تر ونشر، المركز اللوثري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط، د ط، بيروت، لبنان.

ثانيا المراجع:

أ: مراجع باللغة العربية

1) أحمد عبد الله آل سرور الغامدي: **الصراع بين الكنيسة والعلم أسبابه وآثاره**، د ط، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية.

2) أحمد علي عجيبة: **أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي**، دار الأفاق العربية، ط1، سنة، القاهرة، نصر، مصر، 2014.

3) أحمد علي عجيبة: **البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي**، مكتبة المهتدين، د ط، طنطا، مصر، 1991.

4) أحمد محمد عطيات: **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش**، ط1، دار الأمواج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2012.

5) أشرف صالح محمد سيد: **أصول التاريخ الأوروبي الحديث**، دار ناشري، ط1، الكويت، 2009.

6) أم الزين بنشسيخة المسكيني: **كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرد العقل**، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء ، الكويت، 2006 .

7) أم الزين بنشسيخة المسكيني: كانط والحداثة الدينية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب،2015.

8) إمانويل كانط : الدين في مجرد حدود العقل، تر، فتحي المسكيني، جداول، ط1، بيروت، لبنان، 2012.

9) أندرو ديكسون وايت: **بين الدين والعلم، تاريخ الصراع بينهما في العصور الوسطى**، تر، إسماعيل مظهر، د ط، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، نصر، القاهرة، مصر.

10) أندريه كريستون: فولتير حياته آثاره فلسفته، تر، صباح محي الدين، منشورات عويدات، ط2، بيروت، باريس، 1984.

11) برتراند راسل: **حكمة الغرب**،ج2 ، تر، فؤاد زكريا، عالم المعرفة، الكويت،1983،.

12) برتراند راسل:**الدين والعلم**، تر، رمسيس عوض، دار الهلال، د،ط.

13) بسام الجمل : **الإصلاح الديني الحديث بأوروبا مفهوما ومسارا تاريخيا (مقاربة تفهمية نقدية)** ، مؤمنون بلا حدود، د ط.

14) بشير بوغازي: **فلسفة عصر الأنوار**، مكتبة المجتمع العربي، ط 1، عمان، الأردن، 2016.

15) بيتر كونزمان وآخرون: **أطلس الفلسفة**، تر، جورج كتورة، المكتبة الشرقية، ط2، بيروت، لبنان،2007.

16) تزفيان تودوروف: **روح الأنوار**، تر، حافظ قويعة، دار محمد علي، ط1، صفاقس، تونس،2007.

17) توفيق الطويل: **قصة النزاع بين الفلسفة والدين**، مكتبة الآداب بالجامين، د ط، مصر.

18) توما الإكويني: **الخلاصة اللاهوتية**، تر، الخوري بولس عواد، مجلد الأول، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان 1887.

19) جلال يحيا: التاريخ **الأوروبي الحديث والمعاصر** (الفجر)، المكتب الجامعي الحديث، ط1، القاهرة، مصر، 2013.

20) جنفيان روديس لويس: ديكارت والعقلانية، تر، عبده الحلو، منشورات العويدات، ط4، بيروت، لبنان، 1988.

21) جورج سباين : تطور الفكر السياسي، تر، أحمد سويلم العمري، ج الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط.

22) جورج مينوا: الكنيسة والعلم، تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي، تر، موريس جلال، الأهالي، ط 1، دمشق، سوريا، 2005.

23) جوزيف بيريز: التاريخ الوجيز محاكم التفتيش بإسبانيا، تر، مصطفى أمادي، زاد المعرفة، ط1، ، أبو ظبي، الإمارات، 2012.

24) جوزيف ممدوح: **أطروحة الخمس وتسعون مارتن لوثر**، سلسلة اسأل فكر أقرأ ابحث ، ط1، 2017.

25) جون لوك : **في الحكم المدني** ، تر، منى أبو سنه ، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، الإسكندرية، مصر.

26) جون لوك : **رسالة في التسامح**، تر، منى أبو سنة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، الإسكندرية، مصر،1997.

27) ديسدريوس إيراسموس: **حرية الإرادة**، تر،أحمد لطفي، صفصافة للنشر والتوزيع، ط1،الجيزة، مصر، 2014.

28) رنيه ديكارت: **مقال عن المنهج**، تر، محمود محمد الخضيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، مصر، 1985.

29) زين العابدين شمس الدين نجم: **تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر**، دار المسيرة، ط1، عمان، الأردن، 2012.

30) سعيد حبيب: **أعلام الفكر الفرنسي**، دار الشرق والغرب، د ط، القاهرة، مصر، 1950.

31) سفر بن عبد الرحمان الحوالي : **العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة**، دار الهجرة، مطبوعات المركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، د ط.

32) شارل جنيفر: **المسيحية نشأتها وتطورها**، تر، عبدالحليم محمود، المكتبة العصرية، د ط، صيدا، بيروت، لبنان.

33) شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم: **تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة**، المكتب المصري للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000.

34) صالح أحمد هريدى: **معالم تاريخ أوروبا الحديث من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية**، مكتبة بستان المعرفة، د ط، الإسكندرية، مصر،2009 .

35) عامر عبد زيد كاظم الوائي: الإصلاح الديني قراءة المفهوم في التجربة المسيحية الغربية، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ط1.

36) عبد القادر تومي: **أعلام الفلسفة الغربية في العصر الحديث**، مؤسسة كنوز الحكمة، ط1، الجزائر،2011.

37) فارح مسرحي: **الحداثة في فكر محمد أركون مقاربة أولية**، ناشرون، الدار العربية للعلوم، ط1، الجزائر العاصمة، 2006.

38) فرنسيس بيكون" **الأورغانون الجديد، إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة**، تر، عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع ، ط1، ، القاهرة، مصر، 2013.

39) فريدريك كوبلستون: **تاريخ الفلسفة من ديكارت إلى هيوم**، مجلد الرابع، تر، سعيد توفيق، محمود سيد أحمد، المركز القومي، ط1، الجيزة، القاهرة،2013.

40) فولتير: **رسالة في التسامح**، تر، هنريت عبودي، دار بتر، ط1، سوريا، دمشق،2009.

41) القديس أوغسطين: **مدينة الله**، المجلد الأول، تر، الخور أسقف الحلو، ط2، دار المشرق، بيروت، لبنان.

42) القس فايز فارس: **أضواء على الإصلاح الإنجيلي**، دار الثقافة المسيحية، ط1، القاهرة، مصر،2000.

43) محمود سعيد عمران: حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1998.

44) موريس بيشوب: **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، تر، علي السيد علي، المجلس الأعلى للثقافة للنشر والتوزيع، ط1، الجلابية بالأوبيرة، الجزيرة، القاهرة،2005 .

45) نيكولا ميكافيلي: **الأمير**، تر، أكرم مؤمن، المكتبة العربية ، د ط، القاهرة ، مصر.

46) هاشم صالح: **مدخل إلى التنوير الفلسفي**، ط1، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،2005،

47) ول ديورانت: **قصة الحضارة**، ج2، م 6، تر، عبد الحميد يونس ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم، بيروت، لبنان.

48) ول ديورانت: **قصة الحضارة**، ج1، مجلد6 ، تر، عبد الحميد يونس، دار الجمل، بيروت، لبنان .

49) وليام مونتيري واط: **تأثير الإسلام في أوروبا العصور الوسطى**، تر، سارة إبراهيم الذيب، جسور للترجمة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2016.

50) يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط**، إصدارات العوادي، د ط، دار الحرية، الجزائر.

ب: مراجع باللغة الأجنبية

1. Rachad L. St archer et al : **Perspectives on the Missiological Legacy of martin Luther and the protestant reformation**, George fox University, faculty publications-collage of Christian studies, 2017.
2. Peter Marshall **: Martin Luther and Invention of the Reformation**, Oxford University, first Edition published in 2017.
3. Marek Ellingsen: **Martin Luther s legacy, Reforming Reformation thelogy,** for the 21st Century, library of congoress contril number: 2017937475, springer nature.

ثالثا الموسوعات:

1) أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر، خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط2، بيروت، باريس،2001 .

رابعا: المجلات والدوريات

1) / يونس عباس نعيمة: **الجذور التأريخية للصراع بين الدولة والكنيسة الغربية في أوروبا (312، 560م)**، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة بابل، مركز بابل للدراسات.

2) أحمد تركي شريدة: **نشأة البابوية وتطورها**، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 45، العدد 4، ملحق 1، 2018.

3) إمام الشافعي محمد حمودي: **دور المندوب البابوي أدهيمار دي مونتيل في الحملة الصليبية الأولى**، المجلة العلمية، العدد32، الجزء 2013.

4) شفيعة بليلي : **إشكالية التوفيق بين الفلسفة والدين عند توما الإكويني"**، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية بقسم الآداب والفلسفة العدد18، جوان 2017.

5) سامي محمد الشيخ: **مقال بعنوان حركة الإصلاح البروتستانتي** (لوثر ، زونجلي ، وكالفن)

6) الباحثون السوريون: **مقال بعنوان حركة الإصلاح الديني**، جزء الثالث، حركات عصر النهضة الفلسفية.

7) عمار شاكر الدوري : **مقال بعنوان حرب الثلاثين عام (1618، 1648م) قراءة في الأسباب والنتائج**، مجلد 10، العدد 38، 2014، جامعة تكريت، قسم التاريخ .

8) إمانويل كانط: **مقالة ما هو التنوير**، تر، حسين إسماعيل، مدونة الإحياء الجديدة، NeoReivalism.com

9) صالح شقير وساطع نسيب رضوان: **تفعيل مفهوم التسامح فلسفيا**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، المجلد36، العدد5، 2014، تاريخ النشر 2014/09/30.

10) بوشناف سحابه: **مقال بعنوان جون لوك وآفاق التسامح**، طالبة دكتوراه تحت إشراف ، بن مزيان شوقي، جامعة وهران2.

11) معزوز عبد العلي: **مدارات التسامح**، مجلة تبيين، العدد،4، ربيع 2013.

12) أعمال مؤتمر العراق الفلسفي السابع : **الفلسفة والتنوير**، المنعقد في 24،25، تشرين الثاني ،2015، الجامعة المستنصرية كلية الآداب قسم الفلسفة، العراق.

13) غيضان السيد علي: **الدين الأخلاقي عند كانط وحدة الفطرة والعقل**، الاستغراب، مجلد 3، عدد،9.

14) ليث كاظم: معادة السامية في فكر مارتن لوثر، مجلة العلوم السياسية والقانون، مجلد الأول ، العدد4، 2017، صدر عن المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا ، برلين.

خامسا: أطروحات الدكتوراه و المجستار

1) مسدورة هيبة: **خطاب التسامح في فكر الأنوار**، مذكرة لنيل شهادة المجستار في الفلسفة، إشراف ، حمادي أنور، جامعة السانية بوهران كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2011/2010.

سادسا: المواقع الإلكترونية

1. موسوعة ستانفورد للفلسفة: **مقال بعنوان التنوير**، متاح بتاريخ، الجمعة 20 أغسطس،2010، مراجعة موضوعية بتاريخ، 29،أغسطس،2017،على الرابط التالي:

https://Plato.stanford.edu/entries/enlightenment/E mpEnl

تاريخ الزيارة: السبت 21 مارس، 2020، على الساعة 20:30

2. محمد غانم: **مقال بعنوان في نقد التعصب الديني فولتير أنموذجا**، فيلو كلوب تم النشر بتاريخ، 2019/01/25،على الرابط التالي:

https://www.philoclib.net/2019/01blog-post-1.html?m=1

تاريخ الزيارة 2020/03/25،على الساعة 00: 21.

3. أمل الشواربي وآخرون: **مقال بعنوان فولتير فيلسوف عصر التنوير**، أعلام ومفكرون، تاريخ النشر، 2016/01/31، على الرابط التالي:

https :RES .com./amp.php%3fid=9080//WWW.google.com/ amp/S/www.syr-

4. حمادي أنوار: **مقال بعنوان التسامح الديني من التطرف إلى حرية الاعتقاد**، مؤمنون بلا حدود، تم النشر في 12.2019/27، على الرابط التالي https://www.mominoun.com/articles/-2583، تاريخ الزيارة 2020/03/27، على الساعة، 15:00.

5. ديما أحمد صالح : **مقال بعنوان أثر حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في عملية التحول السياسي** ، الحوار المتمدن، متاح بتاريخ 2008/07/27 على الرابط التالي http://www.m.ahewar.org/s.as?aid=142174&r=0

تاريخ الزيارة: 2020/02/29، على الساعة 23:00

6. سمية ربطي: دلالة العلمانية في التقليد الفلسفي السياسي، مجلة فكر الثقافية، متاح بتاريخ، 2020/02/01 على الرابط التالي: https://www.fikrmag.com/article_details.php?article_id=1045

تاريخ الزيارة 2020/02/29،على الساعة 01:40.

7. حسين عبد العزيز : **مقال بعنوان اليسوعية والإصلاح الديني المضاد،** متاح بتاريخ، الثلاثاء 18 فيفري،2020، على الرابط التالي: https://m.arabi21.com/Story/1245780. تاريخ الزيارة السبت 2020/02/22. على الساعة التاسعة ليلا

8. سامي محمد الشيخ : مقال بعنوان حركة الإصلاح البروتستانتي (لوثر ، زونجلي ، وكالفن)، كتب ودراسات دنيا الوطن، متاح بتاريخ 2006/01/08،على الرابط التالي: com.alwatanvoice.pulpit://https/articles35520.html تاريخ الزيارة في يوم السبت 2020/02/22. على الساعة التاسعة ليلا .

الملخص

الملخص:

الكلمات المفتاحية :
الكنيسة الكاثوليكية، الإصلاح الديني، عصر الأنوار، الإصلاح البروتستانتي، الإمبراطورية الرومانية، العصور الوسطى، الكتاب المقدس.

تعتبر حركة الإصلاح الديني التي ظهرت منذ مطلع القرن السادس عشر، أحد أبرز الحركات التي قادت المجتمع الأوروبي للتحرر من سلطان الكنيسة الكاثوليكية ويعتبر مارتن لوثر المصلح الألماني، أحد أبرز الشخصيات التي كان لها تأثير فاعل ومؤثر، خاصة بعد تأسيسه لما يعرف بحركة الإصلاح الديني البروتستانتي، التي سعت إلى تجديد الفكر الكنسي الكاثوليكي، والثورة على المفاهيم الخاطئة التي تبنتها الكنيسة كمسألة صكوك الغفران، فقد عمد مارتن لوثر إلى جعل الكتاب المقدس السلطة الوحيدة التي ينهل منها الإنسان تعاليمه، فعمل على ترجمة الكتاب المقدس، والعودة إلى التعاليم الأولى له، ولقد شكلت إصلاحاته رؤية جديدة من نوعها في تاريخ المجتمع الأوروبي وقادت ثورته الإصلاحية العالم الأوروبي، للتحرر من الوصاية التي فرضت على العقل طوال حقبة العصور الوسطى، والذي أدت في الأخير إلى ظهور عصر الأنوار الذي أطلق عليه العديد من المؤرخين والباحثين تسمية "القرن العظيم"، الذي أحدث القطيعة الكبرى بين أوروبا القديمة وأوروبا الحديثة.

Abstract

Keywords: The Catholic Church, the Protestant Reformation, Roman Empire,The Age of Lights, middle Ages, Bible, Religious reform.

The religious reformation movement which emerged in the beginning of the sixteenth century, is considered one of the most prominent movements that have led the European community to set free from the authority of the Catholic Church, the German reformer Martin Luther is regarded as one of the most influential figures which made an active and effective impact, especially after he established the so-called the Protestant reformation movement that sought to renew the Catholic Church thinking, and revolting against the misconceptions that were adopted by the church such as indulgence.

Martin Luther intended on making the Scripture the only authority which one's draws on their teachings, he then worked on translating the holly book from Latin, he also emphasized the important of its first teachings

Luther's reformation have shaped a new vision of its kind in the history of European societies that led to the freedom from the chains of the mediaeval era and a revolutionary reform in the European world, all of this paved the way to Age of Enlightenment which many historians and researchers name "The Great Century",his era made a sharp distinguishing between the Old Europe and modern Europe.

.